



# بلاغة الانسجام في حديث

(إنَّ الحلالَ بينَ وإنَّ الحرامَ بينَ)

إعداد

د / فهد بن محمد بن فهد العمار

الأستاذ المشارك في كلية اللغة العربية

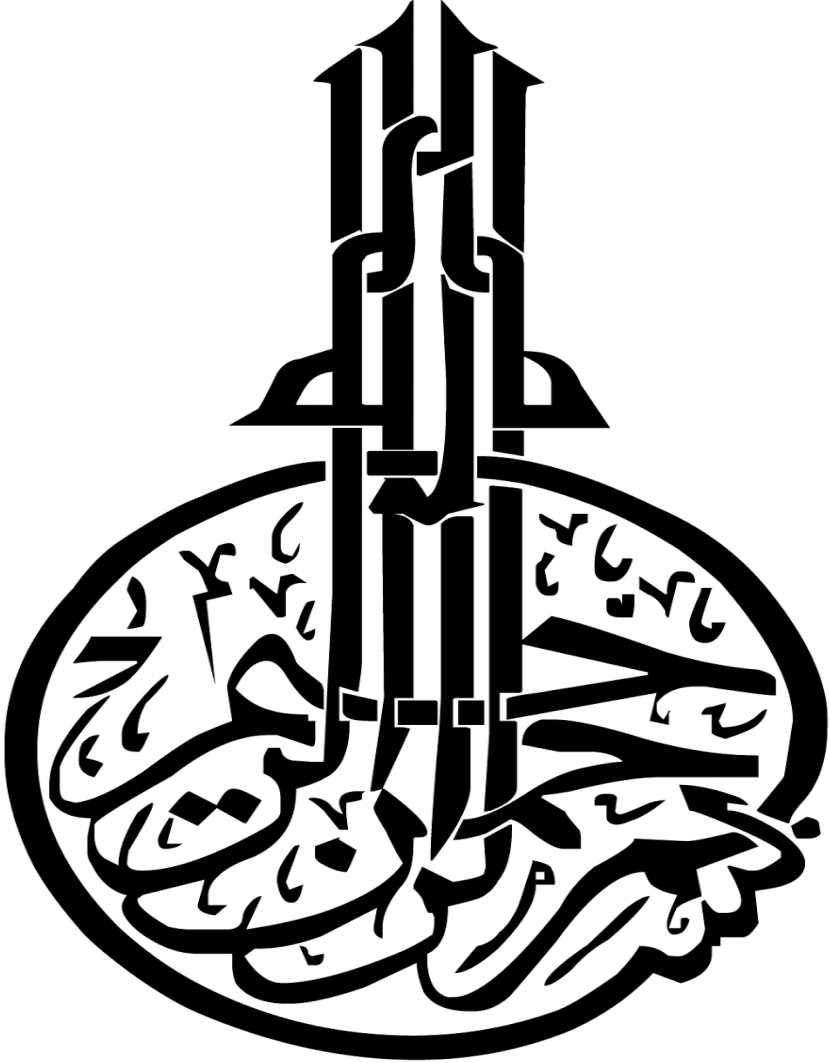
جامعة الإمام محمد بن سعود - المملكة العربية السعودية

١٤٤٣ هـ = ٢٠٢٢ م





بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)





## بلاغة الانسجام في حديث: (إن الحلال بين وإن الحرام بين)

فهد بن محمد بن فهد العمار

قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي - كلية اللغة العربية -  
جامعة الإمام محمد بن سعود - المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني:

fahd10812@gmail.com

### ملخص البحث

جاء البحث في مقدمة، وتمهيد ومبحثين وخاتمة، ذكرت في المقدمة أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وبينت فيها أهداف الدراسة، وخطة البحث ومنهجه.

وذكرت في التمهيد: روايات الحديث المتعددة، ذكرت فيه سبع روايات للحديث، وقد اعتمدت رواية الإمام مسلم رحمه الله، وبعد ذلك بينت فضل الحديث، مشيراً إلى أنه من الأحاديث الكبرى التي عليها مدار الإسلام، فهو كما يذكر العلماء ثلث الإسلام، وكانت مكانته سبباً لاختياره ليكون مجال الدراسة؛ للنظر في بلاغة الانسجام التي توافرت فيه.

وأما المبحثان، فكان المبحث الأول تنظيراً لموضوع الانسجام، فكان بعنوان: الانسجام: تعريفه وبلاغته، ذكرت فيه تعريف الانسجام لغة واصطلاحاً، مع بيان العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاح، ثم بينت بعد ذلك بلاغة الانسجام، وحفاوة العلماء به، وإشادتهم به، مبينين توافره في البيان القرآني، وفي البيان النبوي كذلك، وأنه من جوامع كلمه - عليه الصلاة والسلام -

## بلاغت الانسجام في حديث: (إن الحلال بين وإن الحرام بين)

ولم يكن الحديث عن الانسجام في هذا المبحث مقصودا لذاته، بل كان بمثابة التوطئة، والمدخل للمبحث الثاني، وهو الدراسة التطبيقية للانسجام في حديث (إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات) في المبحث الثاني، وقد كان بعنوان: الانسجام في حديث (إن الحلال بين وإن الحرام بين)، وهو لب الدراسة، وهدفها، وهو الجانب التطبيقي في هذا البحث، فتناولت بالتفصيل لمواضع الانسجام في الحديث، وبيان بلاغته، وصوره وطرقه في الحديث، وقد تعددت صور الانسجام في هذا الحديث، من خلال ضرب الأمثال، ومن خلال الأساليب البلاغية المتعددة: من توكيد وعطف، وتقديم وتقابل وغيرها، وقد تبعت الانسجام في الحديث كله، وبيان ما تضمنته من أسرار بلاغية؛ تحقق غرض المتكلم، وتبين مقصوده.

ثم خاتمة البحث ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم فهرس البحث، ذكرت فيه ثبت المراجع والفهارس.

**الكلمات المفتاحية:** بلاغة الانسجام - الحلال بين - الحرام بين.



---

**The eloquence of harmony in a hadith: (Halal is apparent and the forbidden apparent)**

Fahd bin Muhammad bin Fahd Al-Ammar

Department of Rhetoric, Criticism and the Curriculum of Islamic Literature - College of Arabic Language - Imam Muhammad bin Saud University - Kingdom of Saudi Arabia.

E-mail: fahd10812@gmail.com



**Abstract:**

The research was presented in an introduction, a preface, two researchers and a conclusion, which mentioned in the introduction the importance of the topic, the reasons for its choice, and outlined the objectives of the study, the research plan and its methodology .

She mentioned in the preface: the novels of hadith multiple, in which she mentioned seven novels of the talk, and adopted the novel of Imam Muslim, and then showed the virtue of hadith, pointing out that it is one of the great hadiths on which the orbit of Islam, as the scholars mention one third of Islam, and his place was the reason for his choice to be the field of study, to consider the eloquence of harmony that was available in it.

As for the two topics, the first was a theory of the subject of harmony, entitled: Harmony: its definition and eloquence, in which it mentioned the definition of harmony as a language and terminology, while explaining the relationship between linguistic and linguistic meaning, and then showed the eloquence of harmony, the hospitality of scholars to it, and their

praise for it, indicating its availability in the Qur'anic statement, as well as in the prophetic statement, and that it is one of the mosques of the word - peace be upon him –



The talk of harmony in this research was not intended for itself, but was a prelude, and the entrance to the second research, the applied study of harmony in a hadith (the halal between and the haram between, and between them are suspicious matters) in the second research, which was entitled Harmony in Hadith (the halal between the forbidden and the forbidden is between), which is the core of the study, and its purpose, which is the practical aspect of this research, so it dealt in detail with the positions of harmony in the hadith, and the statement of its eloquence, its images and ways of talking, and the images of harmony in This hadith, through proverbs, and through multiple rhetorical methods: emphasis and kindness, presentation, encounter, etc., has followed harmony in the whole hadith, and the statement of its rhetorical secrets;

Then the conclusion of the research mentioned the most important findings, and then the research index, in which it mentioned the proven references and indexes.

**Keywords:**

Eloquence of harmony - **Halal is apparent - the forbidden apparent**





## مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، والصلاة والسلام على خير الأنام محمد بن عبد الله ﷺ، الذي أوتي مفاتيح الكلم، وافتخر به، فكان منطقته بينا، وحديثه بلاغة وبيانا، جمع الله له المعاني فأجراها على لسانه فكانت آية في الانتظام والانسجام: معنى وأداء، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:



فيشرف المرء حقا أن يكون له نصيب من الكتابة في البيان النبوي في بحوثه العلمية: في بيان بلاغة خير البشر وأزكا هم، وفي إظهار خصائص منطقته، كيف لا وبلاغته ﷺ فوق بلاغة البشر جميعا، فهو إمامهم وقدرتهم في منطقته وفصاحته، كيف ومنطقه وحي أوحاه الله إليه، وأجراه على لسانه! وبسبب هذا توافر في منطقته عليه الصلاة والسلام المهابة والحلاوة، تهفو إليه القلوب، وتقبل عليه النفوس، فيقع في مسامعها وقعا جميلا لا نظير لمثله أبدا، وقد أجاد الجاحظ في وصف بيانه عليه الصلاة والسلام حين قال: « وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، ومع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ... ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين إلا بالخلافة، ولا يستعمل المؤاربة، ولا يهمز، ولا يبطن، ولا يعجل، ولا يسهب، ولا يحصر» (١).

(١) البيان والتبيين: ١٧/٢ .

## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أحلال بين وإن أحرام بين)

ولن يكون حديثي عن البيان النبوي بعامة في هذا البحث، وعلى سبيل الإطلاق، ولن يكون - كذلك - حديثا نظريا، بل ستكون دراستي عن البيان النبوي دراسة تطبيقية، وفي موضوع محدد، وهو الانسجام، وهو من الموضوعات المهمة في الدرس البلاغي، وله شواهد في البيان القرآني، والبيان النبوي، بل بلغ فيه القرآن الكريم حد الإعجاز، بما توافر فيه من المعاني وطريقة الأداء، ولكن الدراسة هنا ستختص في البيان النبوي دراسة تطبيقية في حديث (إن الحلال بين، وإن الحرام بين) فهو مجال الدراسة، وميدان البحث، وهذا هو وجه تميز هذا البحث، والإضافة العلمية له، أنه دراسة تطبيقية لبلاغة الانسجام في البيان النبوي، في جانب محدد يتعلق به، ولا يخفى أن الدراسات التطبيقية التحليلية من الأهمية بمكان في الدرس البلاغي، فهي تفيد من التنظير، وتنطلق منه، ولا تقف عند حده .

### أهمية الموضوع وسبب الاختيار:

ثمة أسباب علمية دعنتني إلى اختيار هذا العنوان، والكتابة فيه، من أهمها ما يأتي:

**أولاً:** أن هذا الموضوع يتجه إلى بيان معنى الانسجام، وبيان بلاغته، فهو يتحدث عن مصطلح بلاغي، لم يأخذ حقه كاملا في الدرس البلاغي، رغم ما تميز به البيان القرآني والبيان النبوي كذلك من الانسجام، فقد توافرت شواهد فيهما، وأشار إلى ذلك العلماء، وأشادوا بهما .

**ثانياً:** إبراز مصطلح الانسجام، والسعي على شيوعه في الدرس البلاغي، من خلال بيان بلاغته في النصوص البليغة، وحسبك بالبيان النبوي بلاغة وأداء، كيف لا والانسجام يتعلق بالمعاني وبطريقة أدائها، وتدققها، وارتباط بعضها ببعض .



**ثالثاً:** تتجلى أهمية هذا البحث من أهمية الحديث الذي ستتناوله الدراسة بالبيان والتحليل؛ لبيان معنى الانسجام وبلاغته، وهو قوله - عليه الصلاة والسلام-: (إن الحلال بين وإن الحرام بين)، ولهذا الحديث أثره وفضله في الإسلام، يدل على ذلك ويقرره قول الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث: «أجمع العلماء على عظم وقع هذا الحديث، وكثرة فوائده، وأنه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، قال جماعة هو ثلث الإسلام؛ فالإسلام يدور عليه، وعلى حديث (إنما الأعمال بالنية)، وحديث (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)، قال العلماء: وسبب عظم موقعه أنه ﷺ نبه فيه على إصلاح المطعم والمشرب والملبس وغيرها، وأنه ينبغي ترك المشتبهات؛ فإنه سبب لحماية دينه وعرضه، وحذر من مواقع الشبهات، وأوضح ذلك بضرب المثل بالحامي ثم بين أهم الأمور، وهو مراعاة القلب» (١).



**رابعاً:** تتجلى أهمية هذا البحث؛ في كونه دراسة تطبيقية من خلال النظر في بيان الانسجام وبلاغته في البيان النبوي في حديث (إن الحلال بين وإن الحرام بين)، وهذه هي الإفادة الحقيقية من جهود علمائنا في هذا المجال، وتوظيفه في مثل هذه الدراسات البلاغية التطبيقية.

**خامساً:** أن هذه الدراسة التطبيقية لبيان معنى الانسجام، وبلاغته تتجه إلى دراسة نص واحد متكامل بخصائصه الموضوعية والأسلوبية، فمجال

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج: ١١ / ٢٧

## بلاغت الانسجام في حديث: (إن الحلال بين وإن الحرام بين)

الدراسة وميدانها محددة المعالم بداية وانتهاء، فالحديث في البيان النبوي كالسورة القرآنية الواحدة، له خصائصه وأسباب وروده، ووحدته الموضوعية، وخصائصه الفنية، وهذا الأمر من الأهمية بمكان في الدرس البلاغي.



### أهداف الدراسة:

تتجلى الأهداف التي أسمى إلى تحقيقها فيما يأتي:

**أولاً:** بيان المراد بالانسجام، وذكر أهميته في الدراسات البلاغية.

**ثانياً:** بيان أهمية حديث (إن الحلال بين وإن الحرام بين)، ومكانته في الإسلام، وربط هذه الأهمية بموضوع الدراسة وهو الانسجام.

**ثالثاً:** الكشف عما تميز به الرسول ﷺ في طريقة أداء معانيه، وفي ترابط كلامه، وانسجام بعضه ببعض.

**رابعاً:** بيان بلاغة الانسجام في حديث (إن الحلال بين وإن الحرام بين)، مع بيان الأسرار البلاغية المصاحبة لها، وطريقة أدائها.

### منهج الدراسة:

ستقوم الدراسة على المنهج الوصفي، القائم على الاستنباط والتحليل، الاستنباط والتأمل لبلاغة الانسجام في حديث (إن الحلال بين وإن الحرام بين)، وتحليل تلك المعاني تحليلاً بلاغياً، لمعرفة ما تضمنته من أساليب تحقق الانسجام وتبرزه.

### خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين، ثم خاتمة البحث وفهارسه. ذكرت في المقدمة أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وبينت فيها أهداف

الدراسة، وخطة البحث ومنهجه.

وقد تضمن التمهيد على ما يأتي:

أولاً: حديث الدراسة ورواياته

ثانياً: فضل الحديث

المبحث الأول بعنوان: الانسجام: تعريفه وبلاغته

المبحث الثاني: بعنوان: الانسجام في حديث (إن الحلال بين وإن الحرام

بين).

ثم الخاتمة، ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وبعض

التوصيات العلمية.

وبعد فهذه هي أهداف البحث وغاياته التي أسعى إلى تحقيقها وبيانها

-بإذن الله- فإن تحقق ذلك فهو توفيق من الله وفضل، فهو صاحب الفضل

والجود، والله أسأل أن يأخذ بيدي، ويفتح علي، ويهدي للحق والصواب،

فهو نعم المولى ونعم المسئول، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.





## التمهيد

### أولاً: حديث الدراسة

من الأهمية بمكان ذكر الحديث بتمامه، بل برواياته المتعددة؛ ليكون القارئ على بينة من أمره من حديث الدراسة، ومن هذه الروايات يكون التصور الكامل عن الحديث بما يكون في كل رواية من إضافات واختلافات، وجمع روايات الحديث الواحد من الأهمية بمكان في الدرس البلاغي؛ لتكون تحت النظر عند بيان الأسرار البلاغية، والنكت البيانية، كما أن لها علاقة وثيقة بموضوع الانسجام، والارتباط به، فهذه الروايات يسند بعضها بعضاً، ويكمل بعضها بعضاً، كما أنها صورة من صور الانسجام، وتدفع المعاني وبسطها.



وأما توثيق النص وتخريجه فهو من الأهمية بمكان، فهو الخطوة الأولى في دراسة النصوص، يتأكد ذلك ويتحتم في دراسة البيان النبوي؛ وذلك أن «توثيق النص عمل رئيس في باب فقه النصوص، سواء منها ما كان إبداعاً في كلمة الإنسان، أو ما كان هدياً في بيان الوحي، فما يكون لناقد أو متدبر أن يمارس علمه في أي جنس من أجناس البيان من قبل أن يتوطد لديه وثاقة انتساب النص لقائله، وتمخضه من أغواره...، ولما كان هذا حقيقة في دلالة النص الإبداعي وفقهه كان حقيقة الحقائق في هدى بيان الوحي قرآناً وسنة فريضة محكمة في تدبره؛ فإن دقائق الحقائق في بيان الوحي إنما تفيض على لاحب المساق لا خارجه...؛ نحن لا نعني بالسياق المقامي لتحدث عنه، وإنما لنفقهه، والحديث إنما يكون في النص نفسه ماثلاً في بنيته اللغوية، ونسقه

البياني؛ لفقده ما هو مكتنز فيه من إشارات؛ إذ النص ليس وجوداً لغوياً منفصلاً عن سياقه الحضاري فهو سليله، مثلما هو قائم فيه<sup>(١)</sup>.

**الرواية الأولى:** عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، إلا وإن حمى الله محارمه، إلا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)<sup>(٢)</sup>.

**الرواية الثانية:** عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: (الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشبهة، فمن ترك ما شبه عليه من الاثم كان لما استبان أترك، ومن اجتراً على ما يشك فيه من الاثم أوشك أن يواقع ما استبان، والمعاصي حمى الله من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه)<sup>(٣)</sup>.

**الرواية الثالثة:** عن الشعبي عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ( وأهوى النعمان بأصبعيه إلى أذنيه ): (إن

(١) فقه بيان النبوة: منهجا وحركة: ٦

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، رقم الحديث:

(٣) السابق، كتاب البيوع، باب: الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات، رقم



## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)

الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، إلا وإن لكل ملك حمى، إلا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) (١)



**الرواية الرابعة:** الشعبي قال سمعت النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الحلال بين، والحرام بين، وإن بين ذلك أموراً مشتبهات، وربما قال: وإن بين ذلك أموراً مشتبهة، وسأضرب لكم في ذلك مثلاً إن الله - عز وجل - حمى حمى، وإن حمى الله - عز وجل - ما حرم، وإنه من يرتع حول الحمى يوشك أن يخالط الحمى، وربما قال: إنه من يرتع حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، وأن من يخالط الرية يوشك أن يجسر)

**الرواية الخامسة:** عن الشعبي قال سمعت النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الحلال بين، والحرام بين، وإن بين ذلك أموراً مشتبهات، وربما قال: وإن بين ذلك أموراً مشتبهة، وسأضرب لكم في ذلك مثلاً: إن الله - عز وجل - حمى حمى، وإن حمى الله - عز وجل - ما حرم، وإنه من يرتع حول الحمى يوشك أن يخالط الحمى، وربما قال: إنه من يرتع حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، وأن من يخالط الرية يوشك أن يجسر) (٢)

(١) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم

الحديث: ١٩٥٥

(٢) سنن أبي داود، كتاب: البيوع، باب: في اجتناب الشبهات، رقم الحديث:

٣٣٢٩

الرواية السادسة: عن الشعبي عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: - وأوماً بأصبعيه إلى أذنيه -: (إن الحلال بين، والحرام بين، وإن بين الحلال والحرام مشتبهات لا يدري كثير من الناس أمن الحلال هي أم من الحرام فمن تركها استبرأ لدينه وعرضه، ومن واقعها يوشك أن يواقع الحرام فمن رعى إلى جنب حمى يوشك أن يرتع فيه، ولكل ملك حمى، وإن حمى الله محارمه) (١)



الرواية السابعة: عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ فيه لدينه وعرضه، ومن واقعها واقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، إلا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) (٢)

هذه هي روايات هذا الحديث كما رواها أصحاب الصحاح والسنن - رحمهم الله -؛ ذكرتها ليكون المطلع على هذا البحث على بينة منها، ولن أتناول جميع هذه الروايات بالدراسة في بيان بلاغة الانسجام فليس (( من السهولة أن يدرس المرء حديث رسول الله ﷺ دراسة بلاغية، فهو يتعامل مع وحي من الله، ويعبر عن مراد رسول الله ﷺ فكيف إذا كان الأمر يتعلق

(١) مسند الإمام أحمد، أول مسند الكوفيين: ١٧٩٠٣، حديث النعمان بن بشير .

(٢) السابق: ٢٧٦٣٨، حديث النعمان بن بشير .

## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)

بالحديث إذا تعددت رواياته، واختلفت ألفاظه فإن هذا مما يدعو البلاغي إلى التأي في بيان البلاغة النبوية، وذكر خصائصها في خطاب النبي ﷺ). (١)

ولذا فسأعتمد في هذه الدراسة رواية مسلم؛ فهي أكثر الروايات بلاغة وبيانا، وقد أحاطت بهذا الموضوع من جميع جوانبه؛ ولما توافر فيها من الخصائص الموضوعية والأسلوبية، فظهر فيها الانسجام جليا، وتبين فيه أكثر من غيره في الروايات الأخرى، وقد أشير إلى بعض هذه الروايات أثناء الدراسة.

### ثانياً؛ فضل الحديث؛

من أسباب اختياري لحديث (إن الحلال بين، وإن الحرام بين) هو عظم منزلته، وعلو شأنه، وجيليل مكانته في الإسلام، ولذا آثرت أن يكون ميدان هذه الدراسة ومجالها؛ للنظر في الانسجام الذي توافر فيه، فقد بلغ فيه الغاية، فكان نموذجاً بليغاً يشار إليه بالبنان، بما تضمنته من انسجام وانتظام في مفرداته وتراكيبه، وقد سبق الإشارة إلى شيء من أهميته في المقدمة في سبب أهمية الموضوع، وسبب اختياره.

وفضل الحديث لا يقف عند المذكور بل يتعداه، فما أكثر الأقوال الواردة عن علماء الحديث في بيان فضله، وعظيم منزلته، وعظم وقعه، فقد اتفق العلماء على عظمه، وكثرة فوائده، فهو أصل الورع في الإسلام، وهو جليل الموقع، عظيم النفع في الشرع<sup>(٢)</sup>، كما أنه وهو من الأحاديث الثلاثة

(١) البلاغة النبوية في ضوء تعدد الروايات الحديثية: ٨ .

(٢) ينظر: المعلم بفوائد مسلم: ٣٠٨/٢ .

التي عليها مدار الإسلام، وحسبك بهذا أهمية له وفضلا، وسبب مكانة هذا الحديث وفضله ((أنه ﷺ نبه فيه على صلاح المطعم، والمشرب، والملبس، وغيرها، وأن يكون حلالا، وأرشد إلى معرفة الحلال بأن أوضح ذلك بضرب المثل بالحمى، وأتم ذلك ببيان منبع الصلاح والفساد ومعدنهما)).<sup>(١)</sup>



فأصل الإسلام - كما يذكر الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - على ثلاثة أحاديث: حديث (إنما الأعمال بالنية)، وحديث (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه)، وحديث (الحلال بين والحرام بين)<sup>(٢)</sup>، فقد تضمن هذا الحديث كثيرا من أصول الإسلام، بل ثلثها، ولذا فقد تضمن هذا الحديث ثلث العلم، كما يقول الإمام أحمد ويقصد بذلك أنه (( يدل على أنه بكونه ثلث العلم أنه أراد أحد القواعد الثلاثة التي ترد إليها جميع الأحكام عنده ))<sup>(٣)</sup>، ومن هنا كان هذا الحديث ثلث الإسلام.

ولذا فقد تلقت الأمة هذا الحديث بالقبول، فأخذ حقه وحظه من العناية والاهتمام، وقد تناوله العلماء بالشرح والبيان، وذكر ما تضمنته من المعاني والأحكام، والآداب، كيف لا وهو جليل الموقع عظيم النفع، فيكفي في الدلالة على ذلك، وتأكيدا أنها ثلث الإسلام، وسبب كونه ثلث الإسلام؛ أن (( الإنسان إنما تعبد بطهارة قلبه وجسمه، فأكثر المذام والمحظورات إنما

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن:

٢٠٨٩/٧

(٢) معالم السنن: ٥٦/٣

(٣) فتح السلام شرح عمدة الأحكام: ١٤/١

## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)

تبعث من القلب، فأشار النبي ﷺ إلى إصلاحه، ونبه على أن إصلاحه هو إصلاح الجسم وأنه الأصل» (١)، ومن هنا عظمت عناية العلماء بهذا الحديث؛ ولذا «تصدى لشرحه العلماء والفضلاء، وكتبوا عليه رسائل مستقلة، ولكن الحديث مهم، وموضوعه يحتاج إلى شرح الأئمة» (٢).



(١) المعلم بفوائد مسلم: ٣٠٨ / ٢

(٢) فيض الباري على صحيح البخاري: ٢٣١ / ١

## المبحث الأول

### الانسجام: تعريفه وبلاغته

من الأهمية بمكان بيان المعنى اللغوي للانسجام؛ ليكون توطئة لذكر المعنى الاصطلاحي، فالمعنى اللغوي وإن كان غير مراد إلا أنه من الأهمية بمكان، وله من الدلالات ما يمكن توظيفها، والانطلاق منها في بيان المعنى الاصطلاحي، بالإضافة إلى أهميته في بيان الارتباط الوثيق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، وفيه من الدقائق والمعاني ما يمكن توظيفها واستثمارها في التعريف الاصطلاحي.



تعود كلمة الانسجام إلى مادة سجم، والسين والجيم والميم، كما يذكر ابن فارس أصل تدل مادته على صب الشيء، فهذا أصل دلالة مادة الانسجام، ومن هذا الأصل تتفرع بقية المعاني، وهي على تعددها تظل مرتبة به، ومنبثقة منه، ومنه: صب الماء وانحداره من السحابة وقت نزول المطر، وانهمار الدمع وانسكابه<sup>(١)</sup>، يدل على ذلك قول العرب: انسجم الماء، فهو منسجم، وذلك إذا انصب وتحدر، وسجّمت السحابة مطرها تسجيما، وذلك إذا صبته وهطل منها بغزارة ودمع ساجم ومسجوم ومنسجم. (٢)

وقد جاء المعنى الاصطلاحي للانسجام متوافقا مع المعنى اللغوي، ومنبثقا منه، بل ثمة تماثل بين المعنيين، ودلالة كبرى عليه، ففي تحدر المطر من السحاب، وانسكاب الدمع مع العين دلالة على انحدار الكلام وتدفقه من

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: مادة سجم.

(٢) ينظر: لسان العرب: مادة سجم.

## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)

فم المتكلم، فالكلم من المتمكن البليغ ينسجم انسجاما، ويتنظم انتظاما، كانتظام زخات المطر، ودمعات العين.

فقد عرف ابن أبي الإصبع الانسجام بقوله: «هو أن يأتي الكلام متحدرا كتحدر الماء المنسجم سهولة سبك، وعضوبة ألفاظ، حتى يكون للجملة وقع في النفوس، وتأثيره في القلوب ما ليس لغيره مع خلوه من البديع وبعده عن التصنيع»<sup>(١)</sup>. وفي تعريفه إشارة مهمة وهو خلو من التكلف والتصنع، ولذا كان تأثيره في النفوس عظيما، وفي القلوب بليغا، وما كان للانسجام في الكلام أن يكون لولا سهولة سبكه، وعضوبة ألفاظه.

وعرف السيوطي الانسجام أيضا بقوله: «هو أن يكون الكلام لخلوه من العقدة متحدرا كتحدر الماء المنسجم، ويكاد يكون لسهولة تركيبه، وعضوبة ألفاظه أن يسيل رقة، والقرآن كله كذلك»<sup>(٢)</sup>. وفي قوله في التعريف (أن يسيل رقة) دلالة مهمة في تعريف الانسجام، فحين يأتي الكلام عفوا الخاطر، سمحا، تراكيبه سهلة، وألفاظه عذبة، فإنه يسيل رقة، وذلك هو المراد بالانسجام، فسيلان الكلام رقة، كسيلان الماء، وكانهما به بغيره من السحاب، وكسقوط الدمع من العين رقة وانتظاما.

وكذلك آيات القرآن الكريم كلها، فهي الغاية، والبلاغة في انسجامها، وانتظام آياتها؛ لسهولة تراكيبها، وعضوبة ألفاظها، وقد أشار كثير من العلماء إلى هذه الحقيقة وقرروها، ومن ذلك السيوطي في تعريفه السابق للانسجام

(١) تحرير التحبير: ٤٢٩

(٢) معترك الأقران: ١/ ٢٩٢

فقد عقب على التعريف السابق بقوله: «والقرآن كله كذلك»<sup>(١)</sup>، وصدق فيما قال، يدرك ذلك من كان أصغى إليه بسمعه وهو شهيد، فسيدرك هذا الانسجام، وذلك التلاحم والانتظام في تراكيبه ومفرداته وقد ذكر هذه الحقيقة وقررها أيضا ابن أبي الإصبع يقول - بعد أن ذكر تعريف الانسجام - : «وأكثر القرآن من شواهد هذا الباب»<sup>(٢)</sup>



وكما كان الانسجام حاضرا في أسلوب القرآن الكريم ونظمه، فقد كان حاضرا في كلام الرسول ﷺ، ويكاد يكون الانسجام سمة بارزة في كلامه كله، ولا غرو في ذلك ولا عجب، فقد اقتفى بيان القرآن وتأثر به، وكيف لا يتأثر به ويسير على نهجه وهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار، كيف لا يتأثر به وقد نزل عليه، وعلمه، وتعلمه، وقرأه وقرأ عليه، وتأمله، وتدبره، ودرسه، وتدارسه، كيف ومنطقه وحي يوحى أوحاه الله إليه، وأجراه على لسانه، وذلك أن الانسجام كما يذكر ابن منقذ: يدل على فور الطبع والغريزة<sup>(٣)</sup>.

وفي لفظة (فور) دلالة على الانسجام وتدقيقه، والتقاء تام مع دلالاته اللغوية والاصطلاحية كما عرفنا، وكيف لا يتوافر هذا الأسلوب في كلامه ﷺ وهو من هو في الفصاحة البيان، فقد امتلك ناصية البيان طبعاً لا تكلف فيه ولا صنعة، فهو أبعد الناس قاطبة عن التكلف، وعن الصنعة، فقد كان يجري البيان على لسانه، وتتدفق البلاغة في معانيه، وتنثال عليه انشبالاً، فيختار منها

(١) معترك الأقران: ٢٩٢/١

(٢) تحرير التحبير: ١٦٦

(٣) البديع في نقد الشعر: ١٢١



## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)

وينتقي ما يناسب المقام، ويحقق الغرض، يدل على هذا المنطق والبيان قول ابن القيم - رحمه الله - وكان عليه السلام أفصح خلق الله، وأعذبهم كلاماً، وأسرعهم أداءً، وأحلاهم منطقاً، حتى إن كلامه ليأخذ بالقلوب، ويسبي الأرواح، ويشهد له بذلك أعداؤه، وكان إذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين، يعده العاد ليس بهد مسرع لا يحفظ، ولا منقطع، تخلله السكتات بين أفراد الكلام بل كان هديه فيه أكمل الهدى<sup>(١)</sup>. وبسبب قوة الطبع، وفورته لدى رسول الله عليه السلام توافر في بيانه هذا الانسجام، واطرد في كله، وقد اشتمل ذلك على «خصوصيات فنية كثيرة، أبرزها: الإيجاز والخلوص والاستيفاء، فقد برئت من كل عيب، لصدورها عن اجتماع له من قوة الطبع، وصفاء الحس، ومحض السليقة، وثقوب الذهن، وتمكن اللسان، ومؤازرة الوحي ما مكنته من الاقتدار على الاقتضاب، والتجوز وسلوك المذاهب البيانية<sup>(٢)</sup>».

وقد كان هذا الأمر حاضر لدى علماء البلاغة والبيان الذين تناولوا البيان النبوي، وبيان ما توافر فيه من الخصائص، والدقائق، والنكت البيانية، فذكروا ما تميز به منطق - عليه الصلاة والسلام - من انسجام، أشاروا إلى ذلك، وأشادوا به، دلالة على تمكنه عليه السلام، واقتداره، وعلى تدفق معانيه، وانسجام بعضها مع بعض، وانتظام بعضها مع بعض، ففي معرض حديث ابن أبي الأصبع عن الانسجام أورد شاهداً من كلامه عليه السلام ثم عقب عليه بقوله: «فانظر إلى انسجام هذه العبارة، وما جاء فيها من البديع غير مقصود، تشهد الخواطر

(١) زاد المعاد: ١ / ١٨٢

(٢) الخصائص الفنية في الأدب النبوي: ٢١٨

السليمة أنه كلام مسترسل غير مروّ ولا مفكر، فصلوات الله وسلامه على من  
بُعث بجوامع الكلم، وأوتي الفصاحة الرائعة وعلى آله وصحبه وسلم<sup>(١)</sup>.  
وفي كلامه كثير من الدلالات المهمة في موضوع الانسجام التي يحسن  
التنبه إليها، والحديث عنها، فقد أشار إلى قضية العفوية، وعدم التكلف في  
منطقه ﷺ ولذا جاء منسجما، منتظما، متدفقا، كأنما يتحدر من صلب،  
كتحدر الماء من السحابة، والدمعة من العين: سواء بسواء في الانتظام،  
والانسكاب، ولأنه غير متكلف، فقد شهدت له بذلك الفطر السليمة، وكيف  
لا تشهد له وهو إمام البلغاء، وخطيب الفصحاء، ما كان ولن يكون مثله بلاغة  
وأداء، وقد أكد هذه الحقيقة، وقررها يونس بن حبيب في قوله: ((وما جاءنا  
عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله ﷺ))<sup>(٢)</sup>، فقد بلغ بذلك  
شأوا بعيدا، وشأنا عظيما في حسن منطقته وبيانه، فأخذت بلاغته بالقلوب  
والعقول معا.



وفي وصف الخواطر بالسليمة من الأهمية بمكان، إذ يقابلها الخواطر  
السقيمة المعتلة، التي لا تعرف للكلام قدرا، ولا وزنا، ولأنها كذلك فحكمها  
كذلك لا قيمة له، ولا وزن لدى علماء البلاغة، وأرباب البيان، وحين تشهد  
لرسول الله ﷺ الخواطر السليمة فذلك فخر لها، ويزيد من قدرها، وفيها  
إشارة من طرف خفي إلى اعتلال بعض الخواطر، وسقم بعض الأفهام،  
ونقص بعض العقول، وتلك لا مكان لها في ساحة البلاغة، فضلا عن مقام

(١) تحرير التحرير: ٤٣٢

(٢) البيان والتبيين: ١٨/٢ .

## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)

النبوة الرفيع، وبلاغتها السامقة، أما الخواطر السليمة فقد شهدت له أنه كلام مسترسل غير مرّ ولا مفكر، شهادة جامعة مانعة، شهادة وصفت وأوجزت وأحاطت بالموضوع من جميع جوانبه، فبينت طبيعة الانسجام فهو مسترسل استرسال المطر وغزارته، متحدر كتحدر الدمع وتتابعه، يجري ذلك كله بسلاسة واسترسال دون اعتمال عقل، ولا كد ذهن، فما أبعدته عن التكلف، والصنعة، كيف وقد ذم - عليه الصلاة والسلام - التكلف والمتكلفين، كيف وقد برأه من ذلك رب العالمين في قوله ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [سورة ص: ٨٦].



وفي قوله: ( فصلوات الله وسلامه على من بُعث بجوامع الكلم، وأوتي الفصاحة الرائعة وعلى آله وصحبه وسلم ) دلالة على أن الانسجام في منطقهِ ﷺ نوع من أنواع جوامع الكلام، ومفاتيح البيان التي أوتيتها رسول الله ﷺ وافتخر بها دلالة على أهميتها، وعلو قدرها وفي كونها من جوامع الكلم إشارة إلى مصدرها فهي منحة ربانية بدلالة قوله (أوتيت) ببناء الفعل للمجهول، فلا غرو والحالة هذه أن يكون الانسجام في كلامه ﷺ بليغا، يشار إليه بالبنان، فهو ظاهر في أسلوبه، بارز في كلامه - عليه الصلاة والسلام -، مما يحتم بيانها ودراستها والوقوف معها، ومن هنا جاءت هذه الدراسة للإشارة إليها، والإشادة بها في هذا البحث تنظيرا في هذا المبحث، وتطبيقا في المبحث القادم.

والمراد بالانسجام في كلامه ﷺ ترابط بعض أجزائه ببعض، وتناغمه فيما بينه، وانتظامه وتولد بعضه من بعض، فكل جملة تأتي في إثر ما تقدمها،

وتتولد منها، وتتفرع عنها، فألفاظه ﷺ وجمله مترابطة متآلفة فيما بينها، أخذ بعضها برقاب بعض، حتى كأن كلامه كله جملة واحدة، تأتي الجملة أولا فيتفرع عنها ما بعدها، ويتناغم معه، وينسجم معه انسجاما.

ولم يكن هذا الانسجام على أهميته مقصودا لذاته، ولا غاية يقف عندها الكلام، بل كان وسيلة لتقرير معانيه عليه الصلاة والسلام، وبيانها خير بيان، وسيلة دعوية اقتضاها مقام النبوة، وبيان الأحكام، وشرائع الدين، ففي الانسجام ترابط، وتسلسل للأفكار، وانتقال من فكرة إلى أخرى، يدرك هذه الحقيقة من يتأمل البيان النبوي، ويدرسه ويضعه نصب عينيه تأملا وتدبرا، وللدكتور عز الدين السيد كلام نفيس، له علاقة وثيقة ببلاغة الانسجام، بين فيه بلاغته، وذكر حكمة توافره في كلامه - عليه الصلاة والسلام - يقول في بيان دلالاته وأسراره: (( إنه الانتقال من مرحلة مسلمة إلى مرحلة مسلمة أخرى، لا يكون بعدهما إلا التسليم والإذعان))<sup>(١)</sup>، ثم يؤكد هذه الحقيقة مرة أخرى ويقررها بقوله: (( وهو الاستيفاء الذي يخرج به الكلام على حذف فضوله وأحكامه، ووجازته، مبسوط المعنى بأجزائه، ليس فيها خداج، ولا إحالة ولا اضطراب، حتى كأن تلك الألفاظ القليلة إنما ركبت تركيبا على وجه يقتضيه المعنى في نفسه وطبيعته، فمتى وعاهها السامع واستوعبها القارئ تمثل المعنى وأتمه في نفسه على حسب ذلك التركيب، فوقع إليه تاما مبسوط الأجزاء، وأصاب هو من الكلام معنى جموما لا ينقطع به ولا يكبو دون الغاية))<sup>(٢)</sup>.



(١) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية: ٢٥٤

(٢) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية: ٤٣٩

## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)

ولهذا الانسجام أثره الفاعل على المعاني المراد بيانها من خلال هذا الأسلوب، ولذا كان سببا في وحدة الموضوع في البيان النبوي، ولا غرو في هذا فالمعاني من خلال هذا الأسلوب تتغازل وتتعمق وتتناغم وتدور حول المعنى الأم تأكيدا وتقريراً، يتفرع المعنى منها، ويعود إليها، فكان لذلك أثر في وحدة الموضوع المراد بيانه، وتلك خاصية من خصائص بيانه - عليه الصلاة والسلام-؛ وذلك أن الوحدة الموضوعية في البيان النبوي تبرز في تلاحم الأفكار والمعاني وانسجامها فيما بينها، فيظهر المعنى بليغا جليا، ولن تجد كالانسجام في تجلية الفكرة وإبرازها وعرضها في خير معرض وأجمله، وقد أدى الانسجام في منطقهِ ﷺ إلى وضوح المعنى، وبلوغ القصد، وغاية البيان والإفهام، نتج عنه وحده الموضوع وتكامله وبيان معالمه، وذكر كل ما يمت له بصلة، هذا ما يتعلق بأثر الانسجام على المعاني، وله أثر آخر على الألفاظ والأساليب فقد أدى هذا الانسجام إلى جزالة الألفاظ، وقوتها، وتماسكها مع وضوحها وبيانها، وهذه الخاصية من الأهمية بمكان، لها أثرها على المتلقي، كيف لا ((والجزالة في البيان البشري ما كان اللفظ سهلا والمعنى بينا مكشوفاً إذا سمعته العامة عرفته، لكنها لا تبلغ درجة استخدامه في حوارها أو مخاطبتها، وإنما تفهمه وتصيخ السمع له، يملك عليها الجوارح فتتأثر به وتنفعل معه وتستزيد قائله))<sup>(١)</sup>، وكذلك كان كلامه - عليه السلام والسلام - بما توافر فيه من تناغم وانسجام فكانت ألفاظه قوية جزلة، ومعانيه واضحة سهلة، فهي من السهل الممتنع التي تدنو فتكون في المتناول، وتبعد وتسمو

(١) مشاهد القيامة في الحديث النبوي: ٣١١ .

فتعز على كل بليغ، ولا شك ولا مرأ أن ((الوضوح سمة من سمات الكلام الذي يوجه للناس، فيشد انتباههم ويوجه أنظارهم ناحية المتكلم؛ لسهولة كلماته ووفائها بالغرض الذي تقال من أجله، وقد كان كلامه ﷺ جامعا لكل الصفات الحسنة المرغوب فيها لدى السامعين، وخلوه من غريب اللفظ، واستخدامه للمفردات التي يألونها كان مدعاة للإقبال عليه واستشفاف معانيه)).(١)



(١) مشاهد القيامة في الحديث النبوي: ٣١١ .

## المبحث الثاني

الانسجام في حديث: (إن الحلال بين وإن الحرام بين)

نص الحديث: عن الشعبي عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ( وأهوى النعمان بأصبعيه إلى أذنيه ): (إن الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، إلا وإن لكل ملك حمى، إلا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب). (١)

سيعنى هذا المبحث بالجانب التطبيقي لبيان الانسجام وبلاغته من خلال حديث (إن الحلال بين وإن الحرام بين)، بعدما اختص المبحث الأول بالجانب النظري لبيان معنى الانسجام، ويكاد يكون هذا المبحث هو بيت القصيد من هذا البحث، فلا يخفى أهمية الدراسات التطبيقية ومنزلتها في الدرس البلاغي، مع أهمية التنظير، لكنه تمهيد وتوطئة للتطبيق ولا يصح الوقوف عنده، والاكتفاء به.

ودراسة الانسجام في النص تقوم على تأمل الحديث كاملاً، وطول صحبته، والنظر فيه، وتتبع المعنى وتدقيقه، وينعكس هذا الأثر على ثراء الدراسة وغنائها، فليس من اليسير النظر في انتظام المعنى، وتتابعه وانسجام

(١) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم

الحديث: ١٩٥٥



أجزائه، وتناغم أفكاره، وتأمل النص من الأهمية بمكان في الدرس البلاغي، تتضاعف هذه الأهمية في البيان النبوي الذي لا يكشف أسرارهِ إلا لمن غاص وأمعن النظر تأملاً وتدبراً، وتلك خاصية من خصائص البيان النبوي أشار إليها الرافعي - في معرض وصفه للبيان النبوي والثناء عليه - بقوله: «إنه كلام كلما زده فكراً زادك معنى»<sup>(١)</sup>، وصدق فيما قال، والدراسات البلاغية للبيان النبوية شاهدة على هذا، مصدقة له، فقد كان البيان النبوي محط أنظار العلماء تأملاً وتدبراً، فقادهم ذلك إلى بيان كثير من الأسرار البلاغية، والنكت البيانية، التي ما كانت لتكون لولا طول صحبتها، وملازمة النظر فيها وتأملها، ودارسة بلاغة الانسجام في هذا الحديث وبيان أسرارهِ من هذا الباب.

يتجلى الانسجام في هذا الحديث ويبدأ من الجملة التي استُفتح بها الحديث في قوله: (إن الحلال بين وإن الحرام بين)، فكل جزء من أجزاء الحديث بعدها مرتبط بها، فقد تفرع الكلام عنها، وجاء منسجماً معها ومتناغماً، وكأنها - بما تضمنت - فتحت الحديث على مصراعيه، ومهدت له، فتحدر الكلام منها، وانسكب الكلام انسكاباً، وانسجم انسجاماً كما ينسجم المطر من السحب، والدمع من العيون في غزارته وانتظامه سواء بسواء.

وتتضافر ألفاظ الحديث وأساليبه مع معانيه بما توافر في كل واحد منهما في إظهار الانسجام وإبرازه، وعرضه في أبهى صورة، ومن ذلك تأكيد الخبر بـ(إن) في قوله (إن الحلال بين وإن الحرام بين)، فثمة ارتباط بين هذا التأكيد

(١) وحي القلم: ٩/٣



## بلاغت الانسجام في حديث: (إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن)

وبين الانسجام الظاهر في الحديث كله، وبيان ذلك: أن في هذا التأكيد اهتماما بمضمون الجملة، فليس من البلاغة وهذا قدرها ومكانتها أن تأتي مجردة من كل توكيد، كيف لا وهي تتكلم عن الحلال والحلال وما يتعلق بهما من الأعمال، فقد جاء التوكيد دلالة على المعنى، وإشارة إليه، كما أن فيه تنبيهاً للمخاطب من أول وهلة إلى عظم ما سيلقى إليه، فلا يحسن أن يتلقاه بغفلة أو بشروء ذهن، فجاء التأكيد ليعطي هذا الموضوع حقه من العناية والاهتمام ولقت الأنظار والعقول إليه؛ دلالة «على أهمية الأمر المتحدث عنه، وعظيم أثره، وكيف لا يكون مهماً وهو يتعلق بمصير الناس وفوزهم بالجنة، أو دخولهم النار الذي يترتب على موقفهم من الحلال والحرام؟»<sup>(١)</sup>، فضلاً عما في لفظة (بيّن) من الدلالة على شدة البيان، والغاية في الوضوح، فقد أظهر هذا البيان التضعيف على حرف الياء؛ فقد ازداد معه المعنى بيانا ووضوحا، وقد أغنى هذا التشديد عن الحديث عن وضوحه، وشدة بيانه .

ولذا فالجملة التي بدأ بها الحديث (إن الحلال بين) واسطة عقده، وما بعدها يلتف حولها، وينطلق منها، يتضح هذا الأمر ويتجلى من خلال تأملها وتأمل ما جاء بعدها؛ وقد أكد هذه الحقيقة وقررها الأستاذ الدكتور محمد أبو موسى في حديثه عن بلاغة هذا الحديث، يقول: «راجع قراءة هذا النص الشريف، وتأمل طريقة بناء معانيه وكيف ترتب بعضها على بعض، ومهد أولها لثانيها، وجاء ثالثها مرتبا على ثانيها، وهكذا كانت معانيه طبقة بعد طبقة، بدأت بقاعدة الحلال والحرام، وترقت وكانت ذروتها صلاح قلب

(١) صور من البيان القرآني والنبوي: ٧٤

الإنسان؛ لأنه المقصود ببيان الحلال والحرام، وهو الغاية التي كانت لها النبوات، والتكاليف، والكتب والرسول، كل ذلك غايته الإنسان والمضغة التي صلاحه بصلاحها، وفساده بفسادها كل ذلك يدور حول المضغة))<sup>(١)</sup>

وفي كلامه كثير من الدلالات المرتبطة بموضوع الانسجام، التي تبرزه وتبين أهميته، فمن الإشارات المهمة: ما يتعلق بمراجعة النص، وتأمل أجزائه، بل تأمل طريقة بناء معانيه، وبدون هذا التأمل لن يظهر الانسجام في الحديث، وربما لا يدركه من ينظر فيه نظرة عجلية، أو يمر عليه مروراً سريعاً، وهذه النظرة العجلية والسريعة لا تمت للدرس البلاغي بصلة، ولا تثمر ولا تستنبط ولا تعطي الكلام قدره وحقه من النظر والقراءة بعد القراءة، وفي قوله (طريقة بناء معانيه) إشارة مهمة جداً في موضوع الانسجام، وهو أن الانسجام أمر متعلق بالمعنى، ولذا كان أدق وأكثر غموضاً وخفاءً، وترتب الكلام بعضه على بعض، وترتب آخره على أوله، ومجيئه طبقة بعد طبقة ذلك كله صور من صور الانسجام في هذا الحديث، كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى.

ولأن الانسجام أمر معنوي في طريقة بناء الحديث وطريقة أدائه وارتباط بعضه ببعض فقد جاءت ألفاظ الحديث كله وتراكيبه في بيانه وتحقيقه وإبرازه، يتجلى ذلك في قوله: (إن الحلال بين وإن الحرام بين)، فالحلال ما أحله الله، فهو بين جلي من البيان والوضوح، لاشك فيه، ولا يخفى أمره، ولا يُجهل حكمه ويقابله الحرام، وهو الممنوع، فهو بين كذلك لا تخفى حرمة بالأدلة الظاهرة، فهما جميعاً بينان في عينيهما وفي وصف كل واحد منهما

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري: ١٩٥

## بلاغت الانسجام في حديث: (إن الحلال بين وإن الحرام بين)

بالأدلة الصريحة الواضحة الظاهرة<sup>(١)</sup>، وبينان كذلك على ما استقر في الإسلام على تحليله أو تحريمه بلا خلاف<sup>(٢)</sup>.

بين لفظي (حلال وحرام) في قوله (إن الحلال بين وإن الحرام بين) طباق، والطباق في هذا المقام نوع من أنواع الانسجام، وسبب لتدفق المعاني وتتابعها؛ وذلك أن الضد أقرب حضوراً عند ذكر ضده، فهو حاضر حتى ولو لم يذكر، وذكره والحالة هذه تأكيد له، ومزيد إيضاح، دلالة على أهميته، فخص بالذكر والبيان، وتلك صورة من صور الانسجام البيانية في هذا الحديث، وصورة من صور بلاغته عليه الصلاة والسلام.

وهل انتهى المعنى هنا وتوقف عند قوله (إن الحلال بين وإن الحرام بين)؟ لا لم يتوقف، بل المعنى منها يبدأ ولا ينتهي، ولذا جاء بعدها قوله: (وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس)، جاء قوله (وبينهما أمور مشتبهات) معطوفاً على قوله (إن الحلال بين وإن الحلال بين)، والعطف صورة من صور الانسجام في هذا الحديث، وصورة من صور الارتباط والاقتران، وقد أظهر الانسجام وأبرزه حرف العطف الواو بدلالته على الفور، ففيه معنى التابع والانتظام، ومجيء الكلام في إثر بعض، وهذا هو الانسجام ودلالاته كما دل على ذلك تعريفه اللغوي والاصطلاحي.

ولذا فهذا الحديث وبهذا الانسجام، وبما تضمنه من غزارة للمعنى وانتظام له وتتابعه مع قلة ألفاظه وبلاغتها فيعد من شواهد ((جوامع الكلم مع

(١) ينظر: فتح الباري: ١/ ١٢٧

(٢) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٣/ ٤٢٤

أن الكلام فيه يبدو مرسلا سهلا، لا تكلف فيه، تأمل الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشتبهات، الكلام كأنه خطوط ثلاثة يرسم كل خط منها طريقا، الحلال بين طريق، والحرام بين طريق، وبينهما مشتبهات طريق<sup>(١)</sup>.

ولفظه (المشتبهات) هنا تقابل لفظه (بين)، فإذا كان البين الواضح الذي لا يلتبس بغيره فإن المشتبهات على خلافها، فقد شبهت بغيرها، ولذا لم يتبين أمرها ولا حكمها، فهي ليست واضحة، ولا مقطوعا بأمرها بين الحل والحرمة، فهي تحتمل الأمرين معا، ولذا اشتبهت على الناظر فيهما بأيهما يلحق بالحلال أو بالحرام<sup>(٢)</sup>، ولذا اختلط أمرهن فصار لا يعلمهن كثير من الناس.

وهذه التقسيمات الثلاثة صورة من صور الإحاطة بالمعنى، وصورة من صور الانسجام في الكلام، فهذه الأقسام التي بدأ الحديث بذكرها مرتبط بعضها ببعض، متآخية منسجمة فيما بينها أخذ بعضها رقاب بعض، كل جملة تقود إلى الأخرى وتدل عليها، وهو تقسيم متعلق بالأحكام، بدأت بالحلال وانتهت بالمشتبهات، ومن هنا كان هذا التقسيم ضربا من ضروب الانسجام في هذا الحديث، وهو تقسيم شامل وصحيح؛ «لأن الشيء إما أن ينص الشارع على طلبه، مع الوعيد على تركه، أو ينص على تركه مع الوعيد على فعله، أو لا ينص على واحد منهما، فالأول الحلال البين، والثاني الحرام البين، والثالث المشتبه لخفائه فلا يُدري أحلال هو أم حرام، وما كان هذا

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري: ٢٠٧

(٢) ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٢٠٨٩/٧

## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)

سبيله فينبغي اجتنابه<sup>(١)</sup>؛ لأنهن من الأمور المشتبهات؛ التي يلتبس أمرها ))  
أي على بعض الناس؛ لا أنها مشتبهة في أنفسها غير محرمة أو محللة؛ لأن الله  
- تعالى - بعث الرسول مبينا لأمته جميع ما بهم الحاجة إليه من أمر دينهم  
من الحلال والحرام<sup>(٢)</sup>؛ ولأن الحلال بين، ولأن الحرام بين يعرفه الناس  
جميعا ولا يلتبس عليهم أمرهما، فقد توقف الحديث عنهما عند قوله (إن  
الحلال بين وإن الحرام بين)، بخلاف المشتبهات التي تخفى ولا يعرفها إلا  
العلماء الراسخون، ولذا جاء الحديث كله بعدها حديثا عنها في بيانها،  
والتحذير من الوقوع بها.

ولذا فوصف المشتبهات بقوله (لا يعلمهن كثير من الناس)، تمة لبيان  
المشتبهات، وتحذير منها، والوصف نوع من أنواع الانسجام، وتدقق المعاني  
وتتابعها، ولهذا الوصف كثير من الدلالات المتعلقة بأمر المشتبهات، منها  
أن هذه المشتبهات ليست في ذاتها، ولا لشيء كامن فيها، فإذا كان كثير من  
الناس لا يعلم هذه المشتبهات، فثمة قلة من الناس يعلمون أمرها، ويعرفون  
حقيقتها، وهم العلماء المجتهدون، وهذا بدلالة المخالفة، وبدلالة مفهوم  
الحديث، وفي هذا تأكيد )) بيان فحواه أن بعض الناس يعرفونها، وإن كانوا  
قليل العدد، فإذا صار معلوما عند بعضهم فليس بمشتبه في نفسه، ولكن  
الواجب على من اشتبه عليه أن يتوقف، ويستبرئ الشك ولا يقدم إلا على

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود: ٩/١٢٧

(٢) الكوكب الدراري في شرح صحيح البخاري: ٩/١٨٤

بصيرة، فإنه إن أقدم على الشيء قبل الثبوت والتبين لم يأمن أن يقع في الحرام<sup>(١)</sup>

يظهر الانسجام جليا فيما مضى من خلال ارتباط جمل الحديث بعضها ببعض، ومن تولد بعضها من بعضها، ودلالاتها عليها، فثمة معان متدفقة، ومرتبطة بعضها على بعض، ولذا كانت جملة (إن الحلال بين وإن الحرام بين) الأصل الذي تفرعت عنه المعاني التي جاءت بعدها، فانسجمت معها انسجاما، وانتظمت مع معانيها انتظاما في عقد فريد، وأسلوب أخاذ بديع، تضافر العطف والوصف في إبرازه وإظهاره، ولذا فإن قوله (إن الحلال بين، وإن الحرام بين) جملتان لكنهما «بمثابة جملة واحدة؛ لأن المعطوف والمعطوف عليه كالشيء الواحد، والأولى هي الأصل، والثانية تابع لها، وقوله -عليه الصلاة والسلام- وبينهما أمور مشتبهات جملة ثالثة معطوفة على جملة (إن الحلال بين وإن الحرام بين)؛ لأنها كأنها استُخرجت مما بينها، وقوله -عليه الصلاة والسلام- (لا يعلمها كثير من الناس) جملة رابعة داخلية في حيز الجملة الثالثة؛ لأنها وصف للمشتبهات، وهذه الجملة الثالثة وبينهما أمور مشتبهات امتدت حتى كانت بقية الحديث؛ لأن قوله -عليه الصلاة والسلام- فمن اتقى الشبهات تفرع منها، ومرتب عليها، وهذه الجملة المتفرعة ذات شقين شق هو من اتقى الشبهات، وشق هو من وقع في الشبهات، وكل واحد من الشقين مكون من شرط وجوابه... وهكذا تجد الكلام له سمت واحد، وبناء واحد، ومذهب واحد... وهكذا يتوازن الكلام



(١) معالم السنن: شرح سنن أبي داود: ٥٧ / ٣

## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)

ويتعادل ثم هو كله بعضه من بعض جذره هو الحلال بين، وهذا كله امتداد وتسلسل، أو دوائر يتخلق بعضها داخل بعض، وهو بناء بلاغي عجيب أقيم عليه الكلام مع قربه وسهولته حتى تتوهم أنك تقول مثله فإذا رمته وجدت أنك رمت مراما صعبا)) (١)



وهل انتهى المعنى عند (المشبهات) لهذا المعنى؟ كلا، فقد انحدر الكلام منه، كما ينحدر المطر من السحاب، فيتوالى الانسجام بعدها في هذا الحديث، بصورة أخرى تبرزه، وتحقق أغراضه، فيأتي الحديث عن المشبهات والتحذير منها، من خلال أسلوب الشرط في قوله: (فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام) وقد جاء الشرط امتدادا للحديث عن الشبهات، وبيان موقف الناس منها، فمنهم من اتقاه، ومنهم من وقع فيها، ومن هنا يتبين علاقة هذا الكلام بما قبله، وشديد ارتباطه فيه، وهذا كله من الانسجام في الصميم، ومن ترابط الكلام وتماسكه، وأسلوب الشرط من الأساليب المتماسكة المرتبط بعضها على بعض، فيترتب جواب الشرط على فعله؛ إشارة إلى ما بينهما من ارتباط وثيق. فبعد العطف والوصف جاء الشرط لإظهار معنى الانسجام وإبرازه، جاء الشرط مرتين وفي جملتين متغايرتين لبيان موقف الناس من المشبهات، وعاقبة أمرهم منها قربا وبعدا، جاءت جملة الشرط أولا في قوله (فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه).

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري: دراسة في سمت الكلام الأول: ١٩٦

وفي لفظة (اتقى) دلالة معبرة وموحية عن موقف المسلم من هذه الشبهات، فقد اتقاها، حيث جعل بينه وبينها حاجزا يتيقها به، كما يتقي المحارب السهام بالدرع فلا تصل إليه ولا تصيبه فيكون بمأمن منها ومن أثرها وتأثيرها عليه فكذلك هذا المسلم لا تأتيه هذه الشبهات ولا يصله تأثيرها فقد اتقاها، وجعل بينه وبينها الحواجز، فقد حمى نفسه منها، فكان الجزء أن استبرأ لدينه وعرضه، وكما كانت لفظة (اتقى) ذات دلالة وشعاع في الشرط فكذلك كانت لفظة (استبرأ) في الجواب، سواء بسواء، فالجزء من جنس العمل، فكما بلغ مبلغا عظيما في اتقاء الشبهات فكان جزاؤه أن بلغ مبلغا عظيما في البراءة منها، بدلالة حرف السين في استبرأ، ففيها دلالة على المبالغة، فقد بالغ في براءة دينه من الوقوع في الحرام، وبالغ في حماية عرضه من الذم والانتقاص، فاستبرأ هنا أبلغ من برأ، كما أن استعف أبلغ من عف<sup>(١)</sup>.



وهذه صورة من صور الانسجام في منطقهِ ﷺ، وصورة من صور تدفق ألفاظه وثراء معانيه، فهي شهادة براءة، لفظة موحية معبرة تضمنت كل معاني البراءة والخلوص من كل ما يعيبه في دينه وعرضه، ودين المرء متعلق بآخرته، وعرضه متعلق بديناه.

وفي تقديم الدين على العرض؛ دلالة على أهميته، وكمال العناية به، فأول ما يهم المرء العناية به وحفظه وصيانتة: دينه الذي عليه صلاح دنياه وآخرته، ثم عرضه وكل ما يتعلق بمكانته وسمعته، وقد جاء هذا التقديم على ما هو

(١) ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: ١٢٨/٩



## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)

معهود في سنن العرب في التقديم والتأخير، يدل على ذلك قول سيويه: )) كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم بيانه أعنى، وإنا كانا جميعا يهمانهم ويعيناهم))<sup>(١)</sup>، والمراد أن هذا المرء قطف ثمرة اتقاه للشبهات، وحقق مراده، فقد سلم له دينه من النقص، ومن الوقوع في الحرام، وصان عرضه من ذم الناس وقدهم له فلن تسري إليه أوهام الناس وظنونهم واتهاماتهم له في دينه وعرضه، والمعنى - كما يذكر ابن حجر - أي ((برأ دينه من النقص، وعرضه من الطعن فيه؛ لأن من لم يُعرف باجتناّب الشبهات لم يسلم لقول من يطعن فيه، وفيه دليل على أن من لم يتوق الشبهة في كسبه ومعاشه فقد عرض نفسه للطعن فيه، وفي هذا إشارة إلى المحافظة على أمور الدين ومراعاة المروءة، من فعل ذلك فقد استبرأ لدينه وعرضه))<sup>(٢)</sup>، ولذا فذكرهما معا، والإحاطة بدين المرء ودنيا من خلال هاتين اللفظتين بلاغة وبيان منه - عليه الصلاة والسلام -، ودلالة على حضور الانسجام في كلامه، وتمكنه منه، وتوظيفه خير توظيف في بيان دعوته، وفي التحذير من الوقوع في الأمور المشتبهات.

وجاء الحديث عن جزاء من وقع في الشبهات مقابلا لمن اتقاه، وعف عن الوقوع فيها، ويعد هذا التقابل صورة من صور الانسجام في هذا الحديث، فهذا التقابل يجز بعضه إلى بعضه، فثمة من تورع واتقى، وثمة من وقع فيها وهوى، وفي بيانه بأسلوب الشرط تماثل أيضا للصورة التي قبلها، فجاء بيانه

(١) الكتاب: ١ / ٣٤ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١ / ١٢٧ .

في قوله: (ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام)، ولا يخفى الارتباط الوثيق بين الشرط وجزائه في هذه الجملة.

واللافت فيها التماثل التام بين أجزاء الشرط وأجزاء الجواب، أما فعل الشرط فهو هو، وهو الفعل (وقع)، وفي الوقوع دلالة على السقوط الشديد، والوقوع القوي، وهو أن يهوى فيه حتى يصل إلى دركه، دلالة على تماديه بفعله للمشبهات، وتهاونه بفعلها حتى وقع في الحرام، يدل على هذا الأمر ويؤكد حرف الجر (في) في كلا الموضعين في الشرط والجزاء، ففي هذا الحرف بدلالته على الظرفية استعارة تبعية، فقد وقع في الشبهات حتى تمكن منها وتمكنت منه، وأحاطت به من جميع جوانبه، إحاطة الظرف بمظروفه، فكان جزاؤه أن وقع في الحرام، فقد التبس بالحرام، فصار مأكله حراما، ومشربه حراما، وغذي بالحرام، فقد أحاط به الحرام كذلك من جميع جوانبه جزاء وفاقا، وحسبك بلفظة (الحرام) هنا تنفيرا من الاقتراب من الشبهات، فمن ذا يرضى لنفسه الوقوع في الحرام، ومن ذا يقبل على نفسه بالحرام، ويكفي أنه يقابل الحلال بكل تفاصيله!

ومن التماثل التام بين الجملتين التعريف في كل من الشبهات، وفي لفظة الحرام، والتعريف فيها للعهد، فكأن هذه الشبهات معهودة لديه، ومعروفة عنده، فلم يكن الجهل سببا للوقوع فيها، ولكنه التهاون فيها، والقرب منها، فكان عاقبته الوقوع في الحرام، ولم يكن الحرام عنه غريبا ولا جهولا به، فلذا وقع فيه وسقط في هاويته.



## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)

وللوقوع في الحرام هنا معنيان: (( أحدها أنه من يكثر تعاطي الشبهات يصادف الحرام وإن لم يعمده، وقد يآثم بذلك إذا قصر في التحري، والثاني: أنه يعتاد التساهل، ويتمرن عليه ويجسر على شبهة، ثم شبهة أغلظ منها، ثم أخرى وهلم جرا إلى أن يقع في الحرام عمدا، وهذا معنى قولهم: المعاصي تسوق إلى الكفر)). (١)



وهل انتهى المعنى المراد بيانه في التحذير من الوقوع في الشبهات عند قوله: (ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام)؟ كلا فقد ابتداء معنى جديد تفرع منه وانبثق، وله به ارتباط وثيق وهو التمثيل في قوله (كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه)، ولللفظة الحمى في هذا المقام أثر بالغ في إظهار الانسجام في هذا الحديث، وفي تدفق المعاني وانتظامها، فقد (( فتحت الباب للمعنى بعدها، وكأنها البرعم الذي تفرعت منه هاتان الجملتان العظيمتان: إلا وإن لكل ملك حمى، إلا إن حمى الله محارمه، تأمل تسلسل الكلام وتذوق نسقه وبناءه وكأنه قريب منك جدا، ولكنه شاسع كالبدر، أفرط في العلو وضوؤه للعصبة السارين جد قريب)). (٢)

والتمثيل صورة من صور الانسجام في هذا الحديث، وجزء رئيس به يظهر ويكتمل، فلا زالت المعاني يتفرع بعضها عن بعضها، ويدل بعضها على بعضها، يظهر فيها المعنى منسجما، ويتنظم انتظاما، وفي ورود التمثيل في مقام الحديث عن الشبهات دلالة يحسن الحديث عنها والإشارة إليها، ففي

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٢٠٩٩/٧

(٢) شرح أحاديث من صحيح البخاري: ١٩٩



الشبهات غموض وخفاء، وفي التمثيل بيان ووضوح؛ ولذا ففي هذا التمثيل بيان للحالة، وإقامة للحجة، وكشف للخفاء، فلا يبقى عذر لمعتذر، فإن كانت الشبهات معنوية، فالرعي حول الحمى أمر حسي ظاهر للعيان لا يخفى، ومن هنا جاء هذا التمثيل متمما للمعنى ومبرزاً له، فكان صورة من صورة الانسجام في هذا الحديث، وقد أشار ابن حجر إلى هذا المعنى، ودل عليه بقوله: «وعلى هذا فقوله كراع يرعى جملة مستأنفة وردت على سبيل التمثيل؛ للتنبية بالشاهد على الغائب»<sup>(١)</sup>، ثم بين بلاغة هذا التمثيل والغرض منه في قوله: «وفي اختصاص التمثيل بذلك نكتة، وهي أن ملوك العرب كانوا يحمون لمراعي مواشيهم أماكن مختصة، يتوعدون من يرعى فيها بغير إذنهم بالعقوبة الشديدة، فمثل لهم الرسول ﷺ بما هو مشهور عندهم، فالخائف من العقوبة المراقب لرضا الملك يبعد عن الحمى؛ خشية أن تقع مواشيه في شيء منه، فبعده أسلم له ولو اشتد حذره، وغير الخائف المراقب يقرب منه ويرعى من جوانبه فلا يأمن أن تنفرد الفأزة فتقع فيه بغير اختياره، أو يحل المكان الذي هو فيه ويقع الخصب في الحمى فلا يملك نفسه أن يقع فيه فالله - سبحانه وتعالى - هو الملك حقا وحماه محارمه»<sup>(٢)</sup>،

ومن بلاغة هذا التمثيل وقوة تأثيره في المستمعين ونفوذه: أنه مستمد من الطبيعة نفسها، ومن واقعهم وصميم حياتهم التي يعيشونها ويعرفونها حق المعرفة ولذا جاء التمثيل «في صورة أدبية بليغة استمد عناصرها من

(١) فتح الباري: ١/ ١٢٧ .

(٢) فتح الباري: ١/ ١٢٧ .

## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)

الواقع، وروافدها من البيئة التي يخالطها الإنسان، ويعرفها الناس... مما يألفه الإنسان في حياته اليومية، في الحقل والمرعى والحمى والأنعام والخير والانتفاع؛ ليستقر المعنى في النفس، ويكون كالدليل الواقعي والحسي من المحسوسات وهي أقوى من الدليل العقلي الفكري»<sup>(١)</sup>.



والمراد بالحمى هنا المحمي فهو مجاز مرسل بعلاقة المصدرية، وهو موضع يخص الحاكم، ويمنع غيره من القرب منه<sup>(٢)</sup>، وقد تم تمثيل الأمور المشتبهات وتجسيدها بصورة حسية والتحذير منها « بما هو معروف عندهم وشائع بينهم فقد كان ملوك العرب يحمون لمواشيهم أماكن مختصة ويتوعدن من يرعى فيها بغير إذنهم بالعقوبة الشديدة»<sup>(٣)</sup>.

وسبب الرعي حول الحمى والقرب منه: «أن الحمى إذا حُمي فإنه ازدهر، وكثر عشبه، أو كثر زرعه؛ لأن الناس لا يتهكونه بالرعي، فالراعي الذي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه؛ لأن البهائم إذا رأت الخضرة في هذا الحمى، ورأت العشب فإنها تنطلق إليه وتحتاج إلى ملاحظة، ومراقبة كبيرة ومع ذلك لو لاحظ الإنسان وراقب فإنه قد يغفل وقد تغلبه هذه البهائم فترتع في هذا الحمى»<sup>(٤)</sup>، وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام (يوشك أن يرتع فيه)، ومن هنا جاء هذا التمثيل للنهي عن القرب من المشتبهات، والنهي عن

(١) التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث النبوي: ١ / ١٤١ .

(٢) ينظر الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: ٩ / ١٨٤

(٣) من بلاغة الحديث الشريف: ٢٩ .

(٤) شرح رياض الصالحين: ٣ / ٤٩٣

التهاون بها، ووجه الشبه في هذا التمثيل: «حصول العقاب بعدم الاحتراز في ذلك، فكما أن الراعي إذا جره رعيه حول الحمى إلى الوقوع في الحمى استحق العقاب بسبب ذلك، فكذلك من أكثر من الشبهات، وتعرض لمقدماتها وقع في الحرام فاستحق العقاب».(١)



ولن تخفى أمر الأمور المشتبهات بعد هذا المثال البليغ منه - عليه الصلاة والسلام-، فقد خاطبهم بما يعرفون ويفهمون، وبواقعهم الذي يعيشونه ويعايشونه، وهذه من خصائص بلاغته - عليه الصلاة والسلام- أن تصويره البياني مستمد من الطبيعة نفسها، ومن الحياة بكل تفاصيلها، تشبيهات واستعارات من واقع حياتهم، ومن أمور معاشهم، ولذا كان لها الأثر والتأثير في عقولهم وقلوبهم معا، ومن هنا جاء هذا المثل في صورة بديعة بليغة مؤثرة فقد تكوّن عناصر هذا التشبيه «من البيئة التي يخالطها الإنسان، ويعرفها الناس، فالراعي الذي يرعى غنمه في مرعى قريب من حقل خصيب يحميه صاحبه، ويحافظ عليه فلا يأمن منه على غنمه مهما كان حذرا، وشديد الحراسة أن تتسلل للحقل المحمي فترعى فيه، وتعرضه للمؤاخذة والعقاب، لذلك كان من الأفضل له أن يختار له مرعى بعيدا عن هذا الحقل والحمى، وكذلك المسلم ينبغي له أن يتعد عن الشبهات في القول أو الفعل؛ حتى لا ينتهي به الأمر إلى التردى في الحرام فيهلك».(٢)

(١) من بلاغة الحديث الشريف: ٢٩

(٢) التصوير البياني للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف: ١ / ١٤١

## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)

ومجيء التشبيه بهذه الصورة، وبهذه المكونات الحسية المنتزعة من صميم البيئة العربية، التي صورت الأمور المعنوية، وعرضتها بصورة حسية ملموسة مشاهدة سبب من أسباب تدفق المعاني وانتظامها في بيانه ﷺ، وصورة من صور الانسجام في منطقته، ولذا أثرت هذه المعاني في القلوب والعقول معا، وتسلفت إلى أعماق النفس وأغوارها، وحققت المراد منها، فكانت محل عناية البلاغيين، فأشادوا بها وأشاروا إليها، يدل على ذلك ويؤكد قول الدكتور محمد الصباغ عن بلاغة هذا الحديث وما تضمنه من انسجام لمعانيه وتدققها: «في هذا الحديث تتسلل المعاني إلى أعماق النفس التي تتردد فيما اشتبته ولم يتضح لها أهو من الحلال أو الحرام بأن تحذر من الوقوع فيه؛ ليرأ الدين من النقص والعرض من الطعن، وقد أبرز المعنوي في صورة مشاهدة محسوسة حتى تتضح الأمور المشتبهة بين الحلال والحرام» (١).

ومن بلاغة أسلوب التمثيل وجمالياته في البيان النبوي: أنه ليس مقصودا لذاته، وإنما هو وسيلة لغايات دعوية، تم توظيفه لبيان معالم الدين وأحكامه، فهو نبي مرسل أجرى الله على لسانه هذا البيان العربي؛ ليلبغ دعوته على أكمل وجه، وأبلغ بيان، فالدعوة والهداية لا تفارق منطقته أبدا، «ولما كانت الوظيفة الرئيسة للبيان النبوي هي الهداية والتوضيح والكشف عن حقائق الأشياء كان الذي هو أعون على ذلك، وأقدر عليه من صور البيان في لسان العربية إنما هو التشبيه والتمثيل كان ذلك حاضرا زاهرا في بيان النبوة، وكانت

(١) التصوير الفني في الحديث النبوي: ٢ / ٤٨١

أمثاله - عليه الصلاة والسلام - وتشبيهاته كثيرة عددا، بديعة تصويرا، نافذة في سويداء القلوب، آخذة بمجامع العقول، أسرة من يستمع فيبصر ما يسمع إذ تتحول الصورة الصوتية في بيانه إلى صورة في بصر وبصيرة من كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد<sup>(١)</sup>. ومن هنا توافر هذا الأسلوب في منطقه - عليه الصلاة والسلام - كما تجلّى في هذا الحديث .

وهل انتهى الأمر عند هذا البيان، وعند هذا التشبيه التمثيلي في بيان الأمور المشتبهات؟

كلا فلا زال الانسجام حاضرا وباقيا، ولا زالت المعاني تتدفق وتتناغم في الحديث عن الأمور المشتبهات، والتحذير منها، وقد تضافرت ألفاظ الحديث وأساليبه في بيان هذا الانسجام في التحذير من الأمور المشتبهات، وبيان الأضرار المترتبة عليها، ولذا بدأ الحديث عنها بقوله (ألا)، ولوجودها في هذا المقام وتكرارها دلالة على «عظم شأن مدلولها، وعظم موقعه، وبيان ذلك: أن (إلا) لتوكيد مضمون الجملة... والغرض منه تنبيه المخاطب؛ لئلا يفوت المقصود بغفلة عنه، والبيان النبوي يكثُر فيه استعمال هذا الحرف؛ إشارة إلى الاهتمام بمضمون الجمل التي يدخل عليها... فالحديث يبين ظهور الحلال، ووضوح الحرام، وينوه عن الأمور المشتبه أمرها والتي يجب اتقاؤها؛ استبراء لدين المؤمن وعرضه من شين يلحقه، ويلفت أذهان المسلمين بهذا اللفظ الذي وضعته اللغة؛ ليكون علما للانتباه إلى ما يعقبه؛ حتى يرد الخبر على قلب يقظ فلا يغفله<sup>(٢)</sup>.

(١) أثر التشبيه في تصوير المعنى: ١٢

(٢) من بلاغة الحديث الشريف: ١١٩



## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)

فمن صور الانسجام في هذا الحديث: انسجام أدواته كما تجلّى ذلك في (ألا) وتكرارها، ففي التكرار دلالة على تتابع المعاني، ومجيء بعضها في إثر بعض، فقد تكررت الأداة، وما بعدها جاء مختلفا ومغايرا، فقد تعددت الموضوعات وتنوعت، مما يدل على تدفق المعاني في هذا الحديث وتتابعها، وذلك هو الانسجام في أبهى صورته، وأبلغ أساليبه، وحين ننظر إلى الجملة التي دخلت عليها نجد أنها من الأهمية بمكان، فقد تضمنت أخبارا بالغة الأهمية والخطورة، ومن الخطأ - والحالة هذه - أن تذكر والقلب غافل عنها، والنفس شاردة ولذا جاء التنبيه؛ ليدل على أهميتها، وليحفز العقول والقلوب على استماعها والإقبال عليها، ولذا جاء حرف التوكيد (إن) بعد (ألا) لمضاعفة التنبيه، وزيادة في التأكيد والتقرير، والجملة التي دخلت استفتحت بـ(ألا) وأكدت بـ(إن) جدية بهذه التنبهات، وبتلك المؤكدات، كيف لا وهي تتحدث عن حمى الملوك، وحمى ملك الملوك؟! وبيان ذلك: (( أن الملوك من العرب وغيرهم يكون لكل ملك منهم حمى يحميه من الوقوع فيه، والله - تعالى - أيضا حمى، وهو محارمه أي المعاصي التي حرّمها الله كالقتل والزنا وأشباه ذلك، فكل هذا من حمى الله - تعالى - من دخله بارتكابه شيئا من المعاصي استحق العقوبة، ومن قاربه يوشك أن يقع فيه، فمن احتاط لنفسه لم يقاربه ولا يتعلق بشي يقربه من المعصية، فلا يدخل في شيء من الشبهات)). (١)

وللعطف بين هاتين الجملتين في قوله: (ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه) أثر في إظهار الانسجام وبلاغته، ففي العطف تتابع وبيان،

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم: ٢٨/١١



وتدقق في المعاني، وانتظام في الأفكار، عطف يقتضي المغايرة، ويبين خصائص حمى ملك الملوك عن حمى ملوك الأرض جميعا، تجلت خصائص حمى ملك الملوك من خلال الإضافة في قوله (حمى الله)، بما تضمنته من تعظيم في القلوب، ومهابة في النفوس؛ وعلو شأنه، فستان شتان ما بين حمى الملوك، وحمى ملك الملوك، فإن كانت حمى الملوك حواجز وسياح ظاهرة ترى بالعين، فإن حمى الله أمور معنوية يدركها القلب ولا يراها، ويقف عندها حد المؤمن حتى وإن لم يشاهدها، وتقع عليها حواسه، ومن هنا جاء التحذير منها، وبيانها أتم بيان في هذا الحديث، ((ولعل السر فيه: أن حمى الأملاك حدوده محسوسة يدركها كل ذي بصر، فيحترز أن يقع فيه اللهم إلا أن يغفل، أو تغلبه الدابة الجموح، وأما حمى ملك الأملاك - وهي محارمه - فمعقول صرف لا يدركه إلا الألباء من ذوي البصائر، كما قال - عليه الصلاة والسلام - لا يعلمهن كثير من الناس، ومن ثم ورد النهي في التنزيل عن القربان منها في قوله ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾؛ لأن قربانها يعني الوقوع فيها والله أعلم))<sup>(١)</sup>

ويبلغ الانسجام ذروته، ويصل إلى غايته من خلال المعنى الذي حُتم به هذا الحديث في قوله (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)

فيكون مسك الختام لهذا الانسجام، ويكون الغاية في التعليق والتعقيب للأمور المشتبهات التي جاء الحديث ببيانها والتحذير منها، وهكذا ((ينتهي

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٧/ ٢١٠٠

## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)

الحديث الشريف بالقول الفصل والقرار الختامي والنهائي حين يتناول في صور أدبية بليغة ذلك التعبير البلاغي في مصدر الحلال والحرام، والشبهة الرئيسة هو القلب فإليه يرجع الأمر كله إن صلح القلب صلح سائر العمل، وإن فسد القلب فسد سائر العمل؛ لأنه موطن الإيمان، فهو الذي يدير حركة الإنسان كله في أقواله وأفعاله». (١)



ولذا فقد انعطف آخر الحديث على أوله، فثمة تناسب بين طرفي الحديث، وارتباط بين أوله وآخره، وهذه صورة من صور الانسجام البليغة في هذا الحديث، وصورة من صور بلاغته - عليه الصلاة والسلام -، فقد اتصل أول الكلام بآخره، فالحلال البين يؤثر تأثيرا طيبا على القلب ويصلحه، كما أن الحرام البين يؤثر تأثيرا سيئا على القلب فيفسده. (٢)

وقد أشار كثير من شراح الحديث إلى الارتباط الوثيق بين خاتمة الحديث وفاتحته، فالارتباط بينهما وثيق، فهو من ارتباط السبب بالمسبب؛ فالقلب الصالح لا يرى إلا الحلال بينا قولاً وعملاً، والقلب الفاسد لا يرى إلا الحرام البين قولاً وعملاً، ويدفع صاحبه إلى ارتكاب المحرمات، والوقوع في الأمور المشتبهات. (٣)

وللإمام الطيبي كلام نفيس في شرحه لهذا الحديث في بيان خاتمة الحديث بالإشارة إلى صلاح القلب وفساده يقول: «ولما كان التورع

(١) التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف: ١ / ١٤٢

(٢) شرح سنن النسائي المسمى ذخيرة العقبى في شرح المجتبى: ٣٤ / ٩٩

(٣) صور من البيان القرآني والنبوي: ٧٨

والتهتك مما يتبع ميلان القلب إلى الصلاح والفجور، نبه على ذلك بقوله: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله؛ ليقبل المكلف عليه فيصلحه، ويمنعه عن الانتهاك في الشهوات، والإسراع إلى تحصيل المشتبهات؛ حتى لا يتبادر إلى الشبهات، ولا يستعمل جوارحه في اقتراف المحرمات). (١)



ومن صور الانسجام في هذا الحديث أيضا: الحديث عن القلب بهذه الصورة البليغة والبدیعة، وبهذا البسط والاسترسال لبيان مكائته وخطورته، وأثره في صلاح الجسد وفساده، ففي تصدير الكلام بـ(ألا) دلالة لا تخفى على أهمية الكلام الذي سيلقى بعدها، وعلى لفت أنظار المخاطبين بها؛ ليقبلوا على الكلام بقلوب واعية، وأذان صاغية، كيف والحديث عن القلب الذي عليه صلاح الجسد وفساده! فضلا عن مجيء التوكيد بعدها بـ(إن) فقد تضافر التوكيد وأداة التنبيه - بما توافر في كل واحد منهما - على حمل المخاطب للإصغاء والإقبال والاهتمام بما سيلقى عليه، وفي تأخير اسم إن (مضغة) مزيد من التشويق، ومزيد من الانتباه على هذا العضو العجيب، فهو على علو منزلته ليس غريبا ولا بعيدا منفصلا، ينشد خارج بناء الجسم). (٢)

فسيظل المخاطب مترقبا لذكرها، متلهفا لمعرفة ما إذا ذكرت استقرت وتمكنت في القلوب والعقول خير تمكن، وجميع هذه الأساليب البلاغية

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٢٠٩٩/٧

(٢) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية: ١٢٠

## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بيّن وإن أكرام بيّن)

صورة من صور انسجام المعاني وانتظامها، فقد انقادت الألفاظ والأساليب للمعنى المراد بيانه، فكل أسلوب يقودهم إلى ما بعده إلى أن يصلوا إلى المعنى المراد تقريره وبيانه، وهذا هو المراد حين جاء الحديث بهذا البياني البليغ الرفيع، وأما اللفظة المؤخرة التي تم التشويق لها فهي لفظة (مضغة)، وهي القطعة الصغيرة من اللحم، بقدر ما يمضغ في الفم؛ دلالة على صغر حجمها، ولكن وإن صغرت حجما فقد عظمت قدرا وأثرا على الجسد كله صلاحا وفسادا. (١)



وللحديث عن القلب بالمضغة - برغم أثره وتأثيره على الجسد كله - أثره البالغ الذي لا يخفى على قلب المؤمن ووجدانه، وهذا الأثر وذلك التأثير مراد في هذا المقام، وخاصة من خصائص منطقته - عليه الصلاة والسلام - فالبيان النبوي عميق ومؤثر (( وبعيد الغور في أعماق النفس البشرية وتغلغله في شغاف القلوب يضمن له الاستمرار والدوام ويحمل في ملامسة أبعاد النفس على التوجيه واكتشاف المعاني الغائبة فكلما زاد التأثير زاد التغيير حتى إن المرء ليجد نفسه في هيئة أخرى غير معهودة )) (٢).

ويتوالى الانسجام في هذا الحديث، وتتابع المعاني في بيان أثر هذه المضغة وتأثيرها على الجسد كله وذلك في قوله: (إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله)، يتجلى الانسجام في هذا البيان، وفي هذا البسط، وفي ترتب هذا الأثر على ذكر المضغة التي أحاطت بها الأساليب البلاغية في

(١) انظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل: ١٥ / ٥

(٢) مشاهد القيامة في الحديث النبوي: ٢٩٩

هذا الحديث من كل جانب، بدءاً من تصدير الحديث عنها بلفظة (ألا) توظيفا لكل دلالاتها في إبراز المعنى المراد، وفي ذكر أداة الشرط (إذا) دلالة في تمكين المعنى، وتشبيته في نفوس المخاطبين؛ فهي وإن كانت تلتقي مع (إن) في الدلالة على الشرط إلا إنها تنفرد عنها في المقامات التي تأتي فيها، فتأتي في المقامات المتحقق وقوعها، المقطوع بصحتها، كما في هذا المقام، فهذه المضغة بصلاحتها يصلح الجسد كله.



ولو وقف بيانه -عليه الصلاة والسلام- عند قوله: (إذا صلحت صلح الجسد كله)، لثم المراد، ولتبين أثر هذه المضغة على الجسد صلاحا وفسادا، فإذا ذكر الصلاح فسيتبادر إلى الأذهان ما يقابله وهو الفساد، ولكن لم يقف بيانه عند هذا الحد، ولم يكتف بدلالة المفهوم، بل أكد المعنى وزاده بيانا وإيضاحا فذكر ما يقابل صلاح الجسد وهو فساده، وهذا نوع من أنواع الانسجام في هذا الحديث، وهو ذكر المعاني المتقابلة، وفي ذلك مزيد بسط وبيان، وبلاغة نبوية لا يدانيها بيان، ((وهكذا يتوازن الكلام ويتعادل، ثم هو كله بعضه من بعض، جذره هو: الحلال بين، وهذا كله امتداد وتسلسل، أو دوائر يتخلق بعضها داخل بعض، وهذا بناء بلاغي عجيب أقيم عليه الكلام مع قربه وسهولته، حتى تتوهم أنك تقول مثله فإذا رمته وجدت أنك رمت مراما صعبا)).<sup>(١)</sup>

ولذا فقوله: (إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله) من تقابل المعاني فثمة تقابل في المعنى بين قوله (إذا صلحت صلح

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري: ١٩٧

## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)

الجسد كله) وقوله (وإذا فسدت فسد الجسد كله)، يؤكد ذلك حرف العطف الواو بين هاتين الجملتين، والتشابه التام في تركيب الجملة بدء من أداة الشرط (إذا)، وانتهاء بالتوكيد المعنوي في لفظة (كله) فذلك هو الأولى في نظري من أن يكون التقابل محصورا بين لفظتي (صلح وفسد)، فالتقابل في المعنى أوسع دائرة من الطباق بين لفظتين، وتقابل المعاني صورة من صور الانسجام التي تجلت في هذا الحديث.



ومن يتأمل قوله (إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله) يجد أن المعنى يتم ويستقيم لو خلا من التوكيد المعنوي في لفظة (كله) في كلا الموضوعين، وذكرها في هذا المقام وتكرارها في مقام صلاح القلب وفساده امتداد لصور الانسجام الحاضرة في هذا الحديث، فالمعاني فيه آخذة برقاب بعض، متولد بعضها من بعض، يؤكد بعضها بعضا، فضلا عما تضمنته هذا التوكيد من تقرير المعنى وتثبيته، ولذا تجلّى الانسجام من لفظة (كله) في كلا الموضوعين؛ ليقرر - عليه الصلاة والسلام) أثر القلب على الجسد، (ويؤكد بلوغه ونفاذه وإحاطته بلفظ الشمول؛ ليبين مدى الخطر حين يقول: صلح الجسد كله، فسد الجسد كله).<sup>(١)</sup>

وجاء بيان المراد بالمضغة التي يتوقف عليها صلاح الجسد وفساده بقوله -عليه الصلاة والسلام-: (ألا وهي القلب)، وإن مضغة هذا أثرها وتأثيرها على الجسد كله صلاحا وفسادا لجديرة بأن يتم الحديث عنها وبيانها بأداة التشبيه والاستفتاح بـ(ألا)، كيف لا وقد تلهفت النفوس، وترقبت لمعرفة

(١) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية: ١٢١

تلك المضغة، وبيان المراد منها؟! ومن هنا جاء التنبيه بـ(ألا) محققا لتطلعات المخاطبين، وانتظارهم وشدة تلهفهم لمعرفة تلك المضغة.

وفي قوله (ألا وهي القلب) إيضاح بعد إبهام، وهي صورة من صور الإطناب، كما أنها صورة من صور الانسجام في هذا الحديث، فقد ترتب هذا الإيضاح على الإبهام الذي سبقه، وتفرع عنه، فثمة ارتباط بين هذه المعاني، ولا يخفى بلاغة هذا الأسلوب وأثره على المخاطبين؛ ((فإن ذكر المعنى أولا على سبيل الإبهام يوقع السامع في حيرة وتردد، فإذا وضح المعنى بعد ذلك استقر في ذهنه وتمكن من فؤاده))<sup>(١)</sup>، فمادام الحديث عن القلب فمراد أن يتمكن المعنى في القلب، ويستقر في أعماقه ولا يغادره أبداً، فهذه هي مكانة القلب، وذلك أثره وتأثيره على الجسد كله صلاحا وفسادا، وإنما خص بذلك من بين سائر الأعضاء ((لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب، والحث على صلاحه، والإشارة إلى أن لطيب الكسب أثرا فيه))<sup>(٢)</sup>.

وهكذا يتجلى الانسجام ظاهرا في هذا الحديث من أوله إلى آخره، كان فيه حاضرا بمعانيه وأساليبه، فقد قام الحديث عن هذا الانسجام، من أول لفظة فيه حتى آخر كلمة خُتم بها، وحتى يتبين لك ذلك ويتأكد فأعد النظر في الحديث كله: تأملا وتدبرا ((وراجع الكلام من أول الحديث: الحلال بين، والحرام بين، وتأمل كيف أفضت الجمل بعضها إلى بعض، جملة (الحلال

(١) صور من البيان القرآني والنبوي: ٨٠

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١/١٢٨ .



## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)

بين) فتحت الطريق إلى جملة (الحرام بين)، وهما معا أخرجتا من بينهما المشتبهات، وكأن هذه المشتبهات هي البيضة التي يبحث الكلام عنها؛ لأنها بعد ما أثرت ترك الكلام عن الحلال والحرام وامتد مع المشتبهات، فذكر المتقي للمشتبهات، وأنه استبرأ لدينه وعرضه، ثم تجاوز هذا وانتقل إلى من وقع في الشبهات، وصوره بصورة راع يرعى حول الحمى، ثم شرح الحمى، وعظم اقتحامه، وكل ملك له حمى يتحاماه الناس، وملك الملوك له حمى، ولكنه ليس أرضا يحميها كالملوك، وإنما هي محارمها تأمل هذه السلسلة لأنها من سمت بيانه -صلى الله عليه وسلم- ولا أستطيع أن أدل عليها بأكثر من ذلك)). (١)



ولم يكن هذا الانسجام على أهميته مقصودا لذاته، بل إن الموضوع المتحدث عنه وأهميته وخطورته على صلاح الجسد وفساده هو الذي سوغ هذا الأسلوب وفرضه، فكان معبرا عن المعنى أبلغ تعبير وأصدق، تم من خلاله بيان المراد أتم بيان، وتلك خاصية من خصائص بلاغته - عليه الصلاة والسلام - «فالمعاني النبوية الكريمة هي الأساس الذي من أجله وظفت الأساليب، واختيرت الألفاظ، والموضوع دائما هو الغرض الذي من أجله يقصد العمل الأدبي)). (٢)

ولذا ففي الانسجام بلاغة ووضوح، وتفصيل وبيان، فالمقام والموضوع يتطلب هذا الانسجام، ويستدعي هذه الأساليب وتلك التراكمات، وهي دعوة

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري: ٢٠٣

(٢) البلاغة النبوية في أحاديث الترغيب والترهيب في الصحيحين: ٢ / ٤٧٧

إلى تأمل القلوب والأخذ بصلاحتها، والبعد كل البعد عن الأمور المشتبهات، وتلك إشارة بالغة الأهمية أشار إليها من تحدث عن بلاغة هذا الحديث، وختم ذلك بقوله: «إن التنقل السريع بين هذه اللافات الشامخة يجعلنا نتفش عن قلوبنا فنسألها أن تنأى بنا عن ظلال الشبهات، ونسأل الله العصمة لها بالتزام الصلاح والتقوى وهو وحده الولي الحميد» (١).



(١) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية: ١٢١

### خاتمة البحث

فها هي خاتمة البحث، لهذه الصحبة الطيبة للنظر في بيان خير البشر، محمد بن عبد الله ﷺ؛ للنظر في بلاغته، وحسن بيانه، مع حديث من أحاديث الإسلام المهمة، التي يقوم عليها هذا الدين: حديث: (إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات؛ للنظر في بلاغة الانسجام فيه، وطريقة أداء معانيه، فكان المعنى فيه منسجما متناغما، يتبع بعضه بعضا، كأنما يتحدر من صلب، تحدر الماء من الغمام، وتحدر الدموع من العيون، تحدر فيه المعنى وانتظم وانسجم فيما بينه حتى بلغ ذروته، وحقق غاياته: البيانية والدعوية.



وقد بذلت من أجل إتمام هذا البحث جهدي ووقتي، وما هو إلا توفيق الله وتسديده، وقد أفدت منه كثيرا، وخرجت بعدد من النتائج العلمية، ومن أهمها ما يأتي:

**أولاً:** أن لهذا الحديث فضلا في الإسلام، فقد تواتر عن أهل العلم، وعن المحدثين فضله، إذ ليس أجمع ولا أغنى فائدة منه، ولذا جمع هذا الحديث ثلث العلم، كما ذكر العلماء ذلك، وقد انعكست هذه الأهمية على أسلوبه، وطريقة بيانه، ولذا كان غاية في الانسجام، وفي انتظام معانيه وتدققها، وارتباط بعضها ببعض.

**ثانياً:** يعد الانسجام أسلوبا بلاغيا فريدا، ونوعا من أنواع جوامع الكلم الذي أوتيته رسول الله - صلى الله عليه وسلم - به تفرد وافتخر، وقد تم توظيف

بلاغة الانسجام في هذا الحديث في بيان الحلال ترغيبا فيه وتحبيبا، وفي بيان الحرام تنفيرا منه وترهيبا وفي التحذير من الوقوع في الأمور المشتبهات.

**ثالثا:** لم يحظ الانسجام بما يتلاءم مع مكانته وبلاغته في الدرس البلاغي، فقل حديث العلماء عنه، وإشارتهم إليه، وحديثهم عنهم حديث مقتضب، وإشارات قصيرة، ومن المهم توظيف تلك الإشارات الخاطفة، وتوظيفها والانطلاق منها في الدرس البلاغي، في إبراز مفهوم مصطلح الانسجام، وفي حصر شواهد من القرآن الكريم، ومن البيان النبوي.



**رابعا:** لم يكن الانسجام -على أهميته- مقصودا لذاته، بل إن الموضوع المتحدث عنه وأهميته وخطورته على صلاح الجسد وفساده هو الذي سوغ هذا الأسلوب وفرضه، فكان معبرا عن المعنى أبلغ تعبير وأصدق، تم من خلاله بيان المراد أتم بيان، ولذا ففي الانسجام بلاغة ووضوح، وتفصيل وبيان، فالمقام والموضوع يتطلب هذا الانسجام، ويستدعي هذه الأساليب وتلك التراكيب.

**خامسا:** الانسجام متوافر في البيان النبوي، كما هو متوافر في البيان القرآني، ومن المهم العناية به، والالتفات إليه؛ ليكون حاضرا في الدرس البلاغي على مستوى التنظير والتطبيق.

**سادسا:** أن قوله -عليه الصلاة والسلام- (إن الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشتبهات) هي محور الحديث، ومنها تفرع المعنى وانسجم انسجاما، وانتظم المعنى بعدها انتظاما، وهي من الكلمات الجامعة المانعة، وهي من جوامع الكلم التي من الله بها على رسوله، واعترف بها وافتخر، ومن

## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)

هذه الجملة المحورية تفرعت بعدها بقية المعاني، بيانا وتمثيلا لها، ولذا نستطيع أن نتيين الانسجام في هذا الحديث من خلالها، ومن خلال ما تفرع منها، وما جاء بعدها.



**سابعاً:** الانسجام أمر معنوي يتعلق بالمعنى وبيانه، وقد تم توظيف الأساليب البلاغية في هذا الحديث لإبراز وإظهاره، ولذا تعددت صور الانسجام في هذا الحديث، وتنوعت الأساليب البلاغية في إظهاره وإبرازه، وقد تضافرت تلك الأساليب بما توافر فيها في تحقيق انسجام معانيه، وتدققها، وتناغمها، وترابط بعضها ببعض، ولذا برز فيه العطف، والتوكيد، وأدوات التنبيه والاستفتاح، وضرب الأمثال.

وأوصي في خاتمة هذه الدراسة إلى اهتمام الباحثين والدارسين بمثل هذه الدراسات البلاغية، ودراستها في البيان العالي: في البلاغة القرآنية، وفي البلاغة النبوية: تنظيراً وتطبيقاً، مع إبراز جهود العلماء فيها قديماً وحديثاً، وتوظيفها التوظيف اللائق بها، وعدم اقتصار الدرس البلاغي على علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، فالبلاغة أكبر من أن تُحصَر وتُقيد بعلوم البلاغة الثلاثة، بل تفيد منها، وتنطلق إلى غيرها، والله أعلم وصلّى الله وسلم على نبينا محمد.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات



## مصادر البحث ومراجعته

١. أثر التشبيه في تصوير المعنى قراءة في صحيح مسلم: للدكتور عبد البارى طه سعيد، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٢. البديع في نقد الشعر: أسامة بن منقذ، تحقيق، الدكتور أحمد بدوي، والدكتور حامد عبدالمجيد، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر (د-ت).
٣. البيان والتبيين، الجاحظ، أبو عثمان الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ.
٤. البلاغة النبوية في أحاديث الترغيب والترهيب في الصحيحين: للدكتور عبد الله المسعود، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، ١٤١٨هـ.
٥. البلاغة النبوية في ضوء تعدد الروايات الحديثية، للدكتور يوسف بن عبدالله العليوي، دار كنوز إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ.
٦. تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن الكريم، المصري، ابن أبي الإصبع، تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي. (د-ت).
٧. التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث النبوي، علي علي صبح المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
٨. التصوير الفني في الحديث النبوي: للدكتور: محمد الصباغ، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.



## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)

٩. الحديث النبوي من الواجهة البلاغية، الدكتور عز الدين علي السيد، دار

اقرأ، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ.

١٠. الخصائص الفنية في الأدب النبوي، للدكتور محمد بن سعد الدبل،

مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ.

١١. زاد المعاد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبدالقادر

الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة عشرة: ١٤٠٦هـ.

١٢. سنن أبي داود، صحح أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، بتكليف من

مكتب التربية العربي الدولي لدول الخليج، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٣. شرح أحاديث من صحيح البخاري: دراسة في سمت الكلام الأول:

للدكتور محمد أبو موسى، مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الأولى:

١٤٢١هـ.

١٤. شرح رياض الصالحين، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، الناشر

دار الوطن للنشر، الرياض: ١٤٢٦هـ.

١٥. شرح سنن النسائي المسمى ذخيرة العقبي في شرح المجتبي، لمحمد بن

علي بن آدم موسى الأثيوبي الولدي، دار المعراج الدولية للنشر، الطبعة

الأولى: ١٤٢٤هـ.

١٦. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق

السنن، لشرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي، تحقيق: د عبدالمجيد

الهنداوي، مكتبة نزار مطصفى البار، مكة المكرمة، الطبعة الأولى:

١٤١٧هـ.



١٧. صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، استانبول،

المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ١٣٧٤هـ.

١٨. صحيح مسلم، النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن حجاج، حقق

نصوصه: محمد فؤاد عبد الباقي المكتبة الإسلامية، استانبول، (د-ت).

١٩. صور من البيان القرآني والنبوي، الدكتور فتحى فريد، مكتبة النهضة

المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ.

٢٠. عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن

حيدر أبو عبدالرحمن شرف الحق الصديقي، دار الكتب العلمية، بيروت،

الطبعة الثانية: ١٤١٥هـ.

٢١. فتح الباري شرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل

البخاري، أحمد بن علي بن حجر القسطلاني، حققه محمد محب الدين

الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية،

القاهرة، الطبعة الرابعة: ١٤٠٨هـ.

٢٢. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لأحمد بن

عبدالرحمن بن محمد النبأ الساعاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،

الطبعة الثانية .

٢٣. فتح السلام شرح عمدة الأحكام، للحافظ ابن حجر العسقلاني جمعه

وهذبه وحققه أبو محمد عبدالسلام بن محمد العامر .

٢٤. فقه بيان النبوة: منهجاً وحركة، سعد، محمد توفيق، مطبعة الأمانة،

القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ.





## بلاغت الانسجام في حديث: (إن أكلال بين وإن أكرام بين)

٢٥. فيض الباري على صحيح البخاري، محمد أنور شاه الكشميري الهندي تحقيق محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ



٢٦. فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى: ١٣٥٦ هـ

٢٧. الكتاب، لسيوييه، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٨ هـ.

٢٨. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين الكرمانى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ

٢٩. لسان العرب، لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤١٣هـ.

٣٠. مشاهد القيامة في الحديث النبوي: للدكتور أحمد محمد العلي، دار الكرامة للتراث - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٣١. معالم السنن وهو شرح سنن أبي داود، لأبي سليمان حمد بن محمد البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية حلب، الطبعة الأولى: ١٣٥١ هـ

٣٢. معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ.

٣٣. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن بن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ.

٣٤. المعلم بفوائد مسلم، لأبي عبدالله محمد بن علي بن عمر التميمي  
المازري المالكي، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، دار التونسية للنشر، الطبعة  
الثانية: ١٩٨٨

٣٥. من بلاغة الحديث الشريف، الدكتور عبدالفتاح لاشين، دار عكاظ  
للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ

٣٦. المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج: للإمام محي الدين النووي،  
تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيخا، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الرابعة:  
١٤١٨هـ

٣٧. وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت .

